المَرَجُ المُخضَرُّ إِلى
إِجَابَةِ المُضطَرّ



صياغة

د. حمزة بن فايع الفتحي

مركز أضواء السنن

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ﴾ سورةُ النمل: (٦٢).

- قال أبو الدرداءِ رضي اللّٰه عنه:(جِدّوا بالدعاءِ، فإنه من يكثر قرعَ الباب ، يوشكُ أن يُفتح له).

- وقال قتادة رحمه اللّٰه : (إنَّ الظَّن اثنان: ظنٌّ يُنْجِي، وظنٌّ يُرْدِي).

- قال سفيان بن عيينة -رحمه اللّٰه-: (ما يكره العبد خير له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه).

- وقال بعض السلف: (لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس).

- قال ابن القيم -رحمه اللّٰه-: (لولا محنُ الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواءِ الكبر والعجب والفرعنة، وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلًا وآجلًا).

المفتاح

الحمدُ للّهِ فتح لنا المضائق ، وهدانا أحسن الطرائق ، وبلغنا معرفة الحقائق ، لا تحصى نعمه، ولا تُعد مننه ، ونصلي ونُسلم على خيرِ الخلائق، وسيد الرسل الشواهق، نبينا محمد وعلى آلهِ وصحبه ، أفضل الأماثل والأصادق...

أما بعد:

فلا يزال يرنّ في ذهن كلِّ تالٍ متدبر رنين هذه الآية، آية المضطر ، ودعائه الباكي ، ولهجه الحزين

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ سورة النمل: ٦٢.

فيحسّ بالأمل، ويخالطه الفأل الحسن، من جراء ما فيها من بشائر ومسرات ، فينزاح الغمّ، وتعلو السعادة البيضاء . وقد كان القلم سابقا وشائقا، قد ساح وانسابَ في مدارج دعوة يونس عليه السلام:(فنادى في الظلمات) ولم يحب هنا إغفال لمحات واستنباطات من خلال نص دعاء المضطر ، وما تحمله من دلالات العظمة ، ومعاني

التوحيد،. ومعالم البشرى والتوفيق ..!

أمن يجيب المضطر ...؟! لا يجيبه إلا اللّٰه ، ولا يحل كُربته سوى الواحد الأحد ، ولا يداوي سقمه إلا الكريم الشافي المعافي، ولا ينصره في مظلمته إلا من توكل عليه ربُّنا وخالقُنا، وعاينَ علوه وقهره على العباد.

والآيةُ الشريفة تساق في بيان ألوهيته سبحانه وتعالى، ولتعلِّمَ الخلائقَ فضل الدعاء وشرف القيام به، وأن أجوده دعاء المضطر الذي ينقطع لربه، ويتخلى عن الناس والبشر ، ويعتقد نفعَ ربه تعالى

، وأنه المهيمن على كل شيء، فيخلدُ إليه خلودًا تاما

، وينطرح انطراحَ الثكلى ...!

قال عز وجل :﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل ٦٢) .

قال الألوسي رحمه اللّه: (وهو الَّذي أحْوَجَتْهُ شِدَّةٌ مِنَ الشَّدائِدِ وألْجَأتْهُ إلى اللَّجَأِ والضَّراعَةِ إلى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فَهو اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ الِاضْطِرارِ الَّذِي هو افْتِعالٌ مِنَ الضَّرُورَةِ، ويَرْجِعُ إلى هَذا تَفْسِيرُ ابْنِ عَبّاسٍ لَهُ بِالمَجْهُودِ، وتَفْسِيرُ السُّدِّيِّ بِالَّذِي لا حَوْلَ

ولا قُوَّةَ لَهُ، وقِيلَ: المُرادُ بِذَلِكَ المُذْنِبُ إذا اسْتَغْفَرَ، واللّامُ فِيهِ عَلى ما قِيلَ: لِلْجِنْسِ لا لِلاسْتِغْراقِ حَتّى يَلْزَمَ إجابَةَ كُلِّ مُضْطَرٍّ وكَمْ مِن مُضْطَرٍّ لا يُجابُ).

وقد حاولت اليَراعةُ هنا الإبحار في محيط هذه الآية واستكناه ما فيها من دروس وعظات ، وبلغ بها (المائة) فائدة ونقطة، من متفرقات كلام العلماء والحكماء . وخُتمت بالقصص القديم والحديث في تصديق هذا الأصل تأنيساً وتشويقًا ، وعنّ في النفس تسميتها (المَرجُ المُخْضر إلى إجابة المُضطر) .

لعلها تكتب حياةً جديدةً، وترسم مرتعًا أخضرَ في حياة تكدرت عند كثيرين، حتى أُوصِدت دونهم الأبواب، فأحسوا بالهلاك ، أو فشل المسار وخيبة الطريقة . وهي نعمةٌ من اللّٰه ورحمة، أشعلت هَمما ، وأيقظت أرواحًا ، وبعثت قلوبًا ، وجدّدت معاني التوحيد عند طبقات مختلفة من البشر.

(أمن يجيبُ المضطر إذا دعاه) وكم من دعوةٍ تخرج من قلب صادق محزون، فتجدُ سلوتَها حال الاضطرار ، فيكشفُ اللّٰه ما بها، ويحل لها معضلتها

، فتعاين بذاتها منّةَ اللّٰه وعظمته ووحدانيته ، وكيف أنه الإلـهُ الحق المبين، وأن كلَّ المعبودات من دونه مزيفةٌ هزيلة ، قد تبدّى عوارُها، أو انكشف هوانها . وغالبُ من عمل بها وتعلَّقها، زاد إيمانه ، وصلب يقينه ، وتجلَّت له معانٍ في التوحيد عظيمة، وربّ ضارة كانت نافعة ، فكم في المحن من منح، وكم من شدائد أورثت مباهجَ ومسرات ..!

لا تَحسَبِ الأرضَ عَن إنجابها عَقِرت	مِـن كلّ صخر سيأتي لِلفِدا جبلُ
فالغصن يُـنبتُ غـصناً حينَ نقطعه	والليلُ يُنجبُ صبحاً حين يَكتملُ
سَتمطر الأرضُ يَـوماً رغـم شِـحّتِها	ومن بـطونِ المآسي يولدُ الأملُ

وكان القلم التدبري قد ناقش شبه هذه المسألة في رسالة (شُرفات على رحلة المنادي في الظلمات).

ولم يحب التكرار لتشابه المعنيين ، ولكن لوقع آية المضطر وعموميتها ناسبَ طرحها، والتعبير عن دروسها وملهماتها، لا سيما وهي تتردد في المحافل، وتُذكر في شديدات القصص والتجارب .

فاللهم انفعنا بهذه المعاني القرآنية ، واجعلنا من أهلها والمقتفينَ آثارها، إنك على كل شيء قدير .

جدة، بوابة الحرمين الشريفين

١- لا تخلو الحياةُ من طبيعة الشقاء المكنون فيها، والرزايا التي شحنت بها كما قال تعالى: (لقد الإنسان في كبد) سورة البلد . وقال سبحانه :(إنك كادح الى ربك كدحًا فملاقيه) سورة الانشقاق .

ولذلك تجد فيها طبقية اجتماعية، وأصنافًا شتى ، وكبارًا وصغارًا ، ومرضى وأصحاء ، وأثرياء وفقراء ، وتلاقي فيها مجهودين أرداهم التعب ، ومضطرين نالهم الغم والوصب، وستجدُ خيارا حوصروا في أرزاقهم ، ودارت عليهم دوائر شريرة، وتربصت بهم فئات .

ولذلك لا تؤمل في دنيًا لم تسعد أهلها ، وباتت ركامًا من المتاعب والمشاق، ولقد أحسن القائل فيها :

طُبعتْ على كدرٍ وأنت تريدها	صفواً من الأقذار والأكدار
ومُكلّفُ الأيام ضد طباعها	مُتطلبٌ في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما	تبني الرجاء على شفيرٍ هارِ
فالعيشُ نومٌ والمنية يقظةٌ	والمرء بينهما خيالٌ ساري

٢- ومن حالاتها الشديدة حالة المضطر ، الذي سُدت عليه السبل، وضاقت به المناحي ، وخنقت أنفاسه ، وأغلقت دونه الوسائل ، وحكاه القرآن في

سياق الامتنان الالهي والقدرة الربانية في تفريج كربته ، وإزالة ضائقته، وإبدال حزنه فرحًا ، وغمه لذةً وسروراً ، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل ٦٢) .

٣- وحقيقة المضطر هو:

- أولًا: المَكْرُوبُ المَجْهُودُ؛

- **وقيل: ثانيًا:** هو اسم مفعول من الاضطرار، وهو افتعال من الضرورة، وهي الحاجة المحوجة إلى اللجأ، يقال: اضطره إلى كذا، والمضطر هو

المكروب المجهود، الذي مسه الضر ولا حول له ولا قوة،

- **وثالثًا**: هو المذنبُ إذا استغفر،

- **ورابعًا**: هو المظلوم إذا دعا، أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد، وهو منه على خطر،

- **وخامسًا**: هو الذي عراه ضرٌّ من فقر، أو مرض، أو نازلة من نوازل الدهر، فألجأه إلى التضرع إلى اللّٰه.

كما في فتح البيانِ للقنوجي.

وقيل: السادس: هو الَّذِي لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ لَهُ.

وسابعا: هو الَّذي قطع العلائق عما دون اللّٰه.

وثامنا: هُوَ الَّذِي إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللّٰهِ دَاعِيًا، لَمْ يَكُنْ لَهُ وَسِيلَةٌ مِنْ طَاعَةٍ قَدَّمَهَا.

وتاسعًا: هو المفلس.

وعاشرًا: وهو الَّذِي أحْوَجَتْهُ شِدَّةٌ مِنَ الشَّدائِدِ وألْجَأتْهُ إلى اللَّجَأِ والضَّراعَةِ إلى اللّٰهِ عَزَّ وجَلَّ.

٤- وقد تواتر تفريجُ اللّٰه عنهم وامتنانه على المضطرين وكشف بلاياهم، وقضاء حوائجه.. (أمن يجيب المضطر إذا دعاه). فيُنَبِّهُ تَعَالَى أَنَّهُ

هُوَ المدعُوّ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، المرجُوّ عِنْدَ الَّنَـوازِلِ، المؤمل في الحـوادث والـرزايا كَمَا قَـالَ سبحانه : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ﴾ (الْإِسْرَاءِ: ٦٧) ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النَّحْلِ: ٥٣) .

وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أَيْ: مَنْ هُوَ الَّذِي لَا يَلْجَأُ الْمُضْطَرُّ إِلَّا إِلَيْهِ، وَالَّذِي لَا يَكْشِفُ ضُرَّ الْمَضْرُورِينَ سِوَاهُ، وفي ذلك تشويق

وتحبيب، وتحريض وتأكيد ، أن لا يلتفت العباد الى غير بابه، أو يعولوا على غير جنابه .

٥- أنواعُ المضطرين :

المرهق فقرًا ودينًا . و المريض المبتلى، ولذا كان طاوس رحمه اللّٰه يقول: دعاء المريض مستجاب، أما سمعت قوله تعالى: أَمَّنۡ يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ. والمنصور المكروب . ومن تجمعت عليه الشّرور والخصوم .

وجاء رجل إلى مالك بن دينار رحمه اللّٰه فقال: أنا أسألك باللّٰه أن تدعو لي؛ فأنا مضطر، قال:

إذن فاسأله؛ فإنه يجيب المضطر إذا دعاه، قال الشاعر:

وإني لأدعو اللّه والأمر ضيق	عليَّ فما ينفك أن يتفرجا
ورب أخٍ سُدَّت عليه وجوهه	أصاب لها لما دعا اللّه مخرجًا..!

٦- سببُ الاستجابة: هو ما ذكره الإمام القرطبي: والسبب في ذلك أنَّ الضرورة إليه باللَّجَأ ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقعٌ وذمَّةٌ وُجِدَ مِنْ مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر.(١)

(١) تفسير القرطبي ١٣/٢٢٣ .

يقول أحد العارفين: «إذا اجتمع في الإنسان تمام الضعف، مع تمام التوكل على اللّٰه، كانت دعوته أصوب واللّٰه منه أقرب».

وانظر اضطرار سيد الخلق صلى اللّٰه عليه وسلم وتقطع أسبابه يوم بدر: كيف رفع يديه صلى اللّٰه عليه وسلم داعيا حتى سقط الرداء عن كتفيه ورؤي بياض إبطيه، وهو يلهج: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض».[1]

(١) البخاري (٢٩١٥) مسلم (١٧٦٣).

فامتثل ذلك وتعلم منه فن الاضطرار والإلحاح في الدعاء . فأتاه أبو بكر الصديق متأثِّرا بحاله، ثم التزمه من ورائه قائلا: يا رسول اللّٰه! كفاك مناشدتك ربَّك، فإنه سينجز لك ما وعدك.

وكان هذا دعاء سيد النبيين وقدوة العالمين وهو يعلِّم أمته فنَّ الاضطرار وسبل الافتقار، فما أسرع الخير والمدد بالانهمار ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَاسۡتَجابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُمۡ بِأَلف من الۡمَلَائِكَة مُردِفِينَ﴾. سورة الأنفال.

وهنا خفق رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم

خفقة وهو في العريش، ثُمَّ انتبه وقال: «أبشِر يا أبا بكر! أتاك نَصرُ اللّه.. هذا جبريل آخِذٌ بِعنان فرس يقوده على ثناياه النَّقع».

وقيل: إِنَّمَا ذكر الْمُضْطَر، وَإِن كَانَ يُجيب دُعَاء الْمُضْطَر وَغير الْمُضْطَر؛ لِأَن رَغْبَة الْمُضْطَر أقوى، ودعاؤه أخضع.

٧- قلبُ الداعي ورغبته: قال العلامةُ ابن القيم رحمه اللّه :» وَإذا جَمَعَ مَعَ الدُّعاءِ حُضُورَ القَلْبِ وجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلى المَطْلُوبِ، وصادَفَ وقْتًا مِن أوْقاتِ الإجابَةِ السِّتَّةِ، وهِيَ:

الثُّلُثُ الأخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وعِنْدَ الأذانِ، وبَيْنَ الأذانِ والإقامَةِ، وأدْبارُ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ، وعِنْدَ صُعُودِ الإمامِ يَوْمَ الجُمُعَةِ عَلى المِنبَرِ حَتّى تُقْضى الصَّلاةُ مِن ذَلِكَ اليَوْمِ، وآخِرُ ساعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ.

وَصادَفَ خُشُوعًا في القَلْبِ، وانْكِسارًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وذُلًّا لَهُ، وتَضَرُّعًا، ورِقَّةً.

واسْتَقْبَلَ الدّاعِي القِبْلَةَ.

وَكانَ عَلى طَهارَةٍ.

وَرَفَعَ يَدَيْهِ إلى اللَّهِ.

وَبَدَأ بِحَمْدِ اللَّهِ والثَّناءِ عَلَيْهِ.

ثُمَّ ثَنّى بِالصَّلاةِ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ ورَسُولِهِ.

ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ حاجَتِهِ التَّوْبَةَ والِاسْتِغْفارَ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلى اللَّهِ، وأَلَحَّ عَلَيْهِ في المَسْأَلَةِ، وتَمَلَّقَهُ ودَعاهُ رَغْبَةً ورَهْبَةً.

وَتَوَسَّلَ إلَيْهِ بِأسْمائِهِ وصِفاتِهِ وتَوْحِيدِهِ.

وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ دُعائِهِ صَدَقَةً، فَإنَّ هَذا الدُّعاءَ لا يَكادُ يُرَدُّ أبَدًا، ولا سِيَّما إنْ صادَفَ الأدْعِيَةَ الَّتِي أخْبَرَ النَّبِيُّ أنَّها مَظَنَّةُ الإجابَةِ، أوْ أنَّها مُتَضَمِّنَةٌ لِلاسْمِ الأعْظَمِ».(١)

انظر الجواب الكافي ص:١٢ .

٨- كيفيةُ الوصول للحالة الاضطرارية : أولًا في صدق اللجأ الى اللّٰه ، وقطع أسباب الخلائق، وغليان الحاجة والحزن في خلده ، وقد قيل: خيرُ الدعاء ما هيَّجَته الأحـزان..! واستصغارُ النفس والحاجة أمام عظمة اللّٰه وقدرته (ويكشف السوء) كل سوء يواجهك، أو هم يتعبك، أو غم ينتابك ، أو حاجة تعاندك وتزعجك..!

فالجد الجد في الاتصال بالخالق، والابتهال سرًا وعلانية ، واستشعار أفضاله وموانحه، فهو مغيث المحتاجين، ومجيب السائلين ، ونصير المضطرين ..!

أنتَ المنادَى به في كلِ حادثةٍ	أنت الإلهُ وأنت الذخرُ والأملُ
أنت الرجاءُ لمن سُدَّت مذاهبهُ	أنت الدليلُ لمن ضلّت بهِ السبلُ
إنا قصدناكَ والآمالُ واقعةٌ	عليكَ والكلُ ملهوفُ ومبتهِلُ

٩- **وهذه الآية القرآنية**، والنص التنزيلي العظيم من بشائر أهل الإيمان، ومباهج الفرح، وكرائم الرحمات الإلهية.. ولكن أَيْنَ اللاهجون بالدعاء، والمنطرحونَ في حدائقه، واللاهثون وراء ساعاته وأسبابه ، يقول الشيخ ابن سعدي رحمه اللّه:» أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص

مما هو فيه إلا اللّٰه وحده؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا اللّٰه وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم أإله مع اللّٰه يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع اللّٰه شيئًا من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا اللّٰه مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته، ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: قليل تذكركم وتدبركم للأمور التي

إذا تذكرتموها ادَّكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم فلذلك ما أرعويتم ولا اهتديتم).[1]

١٠- وفي الاضطرار فوائدُ ونعمة ، وبعض الناس يتناسى قربة الدعاء، فتأتيه المصائب لتذكره ، وتعيده الى ربه تعالى ، يقول شيخ الإسلام ابن تيميةَ رحمه اللّه : « من تمام نعمة اللّه على عباده المؤمنين أن يُنزلَ بهم من الشدة والضر ، ما يلجئهم إلى توحيده ، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحدا سواه، فتتعلق قلوبهم به

(١) انظر تفسير السعدي١/٦٠٨ .

لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه، والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف، أو الجدب أو الضر، وما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يعبر عنه مقال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه.

١١- للمضطر افتقارٌ وكسرةٌ عجيبة لا يعرفها أكثر الخلق ، فقد أحاطت به الدنيا، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وبات في أمرٍ مريج ، وحالٍ كئيب ..!

كما قيل: من جرّب الكيَّ لا ينسى مواجعه ...!

وتلك المواجعُ أرجعته إلى اللّه ، وصنعت له عبودية نادرة ، من الحكمة والعقل الحفاظ عليها، وعدم التفريط فيها، لأنها لذةٌ عابقة ، ومناجاة مستطعمة، فليس حسنا تبديدها بعد زوال الكربة، وانكشاف الغمة، فقد وهبك اللّه مفتاحا من مفاتيح الإجابة ، فالزمه وحافظ عليه .

١٢- وإجابةُ المضطر من دلائل توحيد اللّه وعظمته وقدرته، اذ هو القادر على إسعاد الحزين ، وغوثِ الفقير، وكشفِ السوء ، ودفع الرزية ..

﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل ٦٢).

أي الـذي يوليكم هـذه النعم الجسام ويحسنُ إليكم . (قليلاً مـا) أي: تـذكراً قليلاً (تـذكرون) و(مـا) زائـدة لتقليل القليل ، هو كناية عن العدم بالكلية فالمراد نفي تذكرهم رأساً، وكان هذا دليلًا لهم ولكنهم في أحوال خاوية وقلوبٍ قاسية ، حالت دون ذلك الوعي الإيماني..!

فكأنه يوبخهم، هـل مـع الله إلـهٌ يمنحكم كل هذه النعم، ويدفع عنكم النقم، وقد كنتم تدعونه في النـوائـب والـشـدائـد، ولكنكم لا تتعظون ولا

تتفقهون...!!

١٣- والواجبُ في حالات البلايا والاضطرار الصبر والدعاء، والتعلق بالحيّ القيوم ، والانطراح بين يديه ، ولزوم أدعية الكرب، وتكرارها على الدوام، وعدم اليأس والإحباط ، وليستيقنّ أن اللّٰه لا يقدر للمؤمن إلا خيرا ، قال تعالى :(فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) سورة الأنعام.

وقال في الحديث الصحيح :(كل أمر المؤمنِ خير).[١]

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

وقال ابن القيم : (البلايا تظهر معادنَ الرجال).

١٤- ومما يحرضُ النفس ويضاعف في نشاطها:، الثمار المكنوزة في دعاء المضطر الصدوق، ومن انهمرت دموعه، وطارت روحه شوقًا إلى اللّه ، اولا :،هو يجيب دعاءك، فتحل عليك ترانيمُ الفرح، وتصيب من لذائذ العبودية ما لا ينال، وتندفع الرزية، ويمكنكم في الحياة كما قال (يجيب المظطر) (يكشف السوء) (يجعلكم خلفاء الأرض).

١٥- قوله : ﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ أيْ يَرْفَعُ عَنِ الإنْسانِ ما يَعْتَرِيهِ مِنَ الأمْرِ الَّذِي يَسُوءُهُ، وقِيلَ: الكَشْفُ أعَمُّ مِنَ الدَّفْعِ والرَّفْعِ، وعَطْفُ هَذِهِ الجُمْلَةِ عَلى ما قَبْلَها من قَبِيلِ عَطْفِ العامِّ عَلى الخاصِّ، (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأَرْضِ) أَيْ : سُكَّانَهَا يُهْلِكُ قَوْمًا وَيُنْشِئُ آخَرِينَ وقيل: وَيَجْعَلُ أَوْلَادَكُمْ خَلَفًا مِنْكُمْ، خَلَفًا مِنَ الْكُفَّارِ يَنْزِلُونَ أَرْضَهُمْ، وَطَاعَةَ اللَّهِ بَعْدَ كُفْرِهِمْ. وقِيلَ: المُرادُ بِالخِلافَةِ المُلْكُ والتَّسَلُّطُ،..!

١٦- قال في التحرير والتنوير :» والمَعْنى: إنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ السُّوءَ عَنِ المَسُوءِ إذا دَعاهُ أيْضًا فَحُذِفَ

مِنَ الجُمْلَةِ المَعْطُوفَةِ لِدَلالَةِ ما ذُكِر مَعَ الجُمْلَةِ المَعْطُوفِ عَلَيْها، أيْ يَكْشِفُ السُّوءَ عَنِ المُسْتاءِ إذا دَعاهُ.

وظاهِرُ التَّقْيِيدِ بِالظَّرْفِ يَقْتَضِي ضَمانَ الإجابَةِ. والواقِعُ أنَّ الإجابَةَ مَنُوطَةٌ بِإرادَةِ اللَّهِ تَعالى بِحَسْبِ ما يَقْتَضِيهِ حالُ الدّاعِي وما يَقْتَضِيهِ مُعارِضُهُ مِن أُصُولٍ أُخْرى، واللَّهُ أعْلَمُ بِذَلِكَ.

وحالَةُ الانْتِفاعِ هي المُشارُ إلَيْها بِقَوْلِهِ ويَجْعَلُكم خُلَفاءَ الأرْضِ أيْ يَجْعَلُكم تَعْمُرُونَ الأرْضَ وتَجْتَنُونَ مَنافِعَها، فَضَمَّنَ الخُلَفاءَ مَعْنى المالِكِينَ فَأُضِيفَ

(١) بدائع الفوائد ٣/٢٣١.

إلى الأَرْضِ عَلى تَقْدِيرِ: مالِكِينَ لَها، والمِلْكُ يَسْتَلْزِمُ الانْتِفاعَ بِما يُنْتَفَعُ بِهِ مِنها.[1]

وأفادَ خُلَفاءَ بِطَرِيقِ الالتِزامِ مَعْنى الوِراثَةِ لِمَن سَبَقَ، فَكُلُّ حَيٍّ هو خَلَفٌ عَنْ سَلَفِهِ. والأُمَّةُ خَلَفٌ عَنْ أُمَّةٍ كانَتْ قَبْلَها جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ».

١٧- الضرورة الملحة: قال القرطبي رحمه اللّه في تفسيره، وقد تقدمت الإشارة إليه: «ضَمِنَ اللّهُ تَعَالَى إِجَابَةَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ، وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الضَّرُورَةَ إِلَيْهِ بِاللِّجَاءِ يَنْشَأُ عَنِ الْإِخْلَاصِ، وَقَطْعِ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَاهُ،

(١) التحرير والتنوير ١٥/٢٠

وَلِلْإِخْلَاصِ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ مَوْقِعٌ وَذِمَّةٌ، وُجِدَ مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ، طَائِعٍ أَوْ فَاجِرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» وَقَوْلُهُ: «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ» فَأَجَابَهُمْ عِنْدَ ضَرُورَتِهِمْ وَوُقُوعِ إِخْلَاصِهِمْ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَعُودُونَ إِلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ. وَقَالَ تَعَالَى: «فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»

فَيُجِيبُ الْمُضْطَرَّ لِمَوْضِعِ اضْطِرَارِهِ وَإِخْلَاصِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» ذَكَرَهُ صَاحِبُ الشِّهَابِ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

١٨- والمظلوم من المضطرين، فيزيد القرطبي ويقول أيضا: «وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللّٰه عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذٍ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّٰهِ حِجَابٌ» وَفِي كِتَابِ الشِّهَابِ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ فَيَقُولُ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي

لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» وَهُوَ صَحِيحٌ أَيْضًا. وَخَرَّجَ الْآجُرِّيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللّٰه عليه وسلم: «فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَمِ كَافِرٍ» فَيُجِيبُ الْمَظْلُومَ لِمَوْضِعِ إِخْلَاصِهِ بِضَرُورَتِهِ بِمُقْتَضَى كرمه، وإجابة لا خلاصه وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ فَاجِرًا فِي دِينِهِ، فَفُجُورُ الْفَاجِرِ وَكُفْرُ الْكَافِرِ لَا يَعُودُ مِنْهُ نَقْصٌ وَلَا وَهَنٌ عَلَى مَمْلَكَةِ سَيِّدِهِ، فَلَا يَمْنَعُهُ مَا قَضَى لِلْمُضْطَرِّ مِنْ إِجَابَتِهِ. وَفَسَّرَ إِجَابَةَ دَعْوَةِ الْمَظْلُوم بِالنُّصْرَةِ عَلَى ظَالِمِهِ بِمَا شَاءَ سُبْحَانَهُ مِنْ قَهْرٍ لَهُ، أَوِ اقْتِصَاصٍ مِنْهُ، أَوْ تَسْلِيطِ ظَالِمٍ آخَرَ

عَلَيْهِ يَقْهَرُهُ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَكَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً» وَأَكَّدَ سُرْعَةَ إِجَابَتِهَا بقول: «تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ» وَمَعْنَاهُ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ أَنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوَكِّلُ مَلَائِكَتَهُ بِتَلَقِّي دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَبِحَمْلِهَا عَلَى الْغَمَامِ، فَيَعْرُجُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَالسَّمَاءُ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ لِيَرَاهَا الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ، فَيَظْهَرُ مِنْهُ مُعَاوَنَةُ الْمَظْلُومِ، وَشَفَاعَةً مِنْهُمْ لَهُ فِي إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، رَحْمَةً لَهُ. وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ مِنَ الظُّلْمِ جُمْلَةً، لِمَا فِيهِ مِنْ سَخَطِ اللّٰهِ وَمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، حَيْثُ قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ: «يَا عِبَادِي

إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» الْحَدِيثَ. فَالْمَظْلُومُ مُضْطَرٌّ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ الْمُسَافِرُ، لِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ مُنْفَرِدٌ عَنِ الصَّدِيقِ وَالْحَمِيمِ، لَا يَسْكُنُ قَلْبُهُ إِلَى مُسْعِدٍ وَلَا مُعِينٍ لِغُرْبَتِهِ. فَتَصْدُقُ ضَرُورَتُهُ إِلَى الْمَوْلَى، فَيُخْلِصُ إِلَيْهِ فِي اللجإ، وَهُوَ الْمُجِيبُ لِلْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ، وَكَذَلِكَ دَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، لَا تَصْدُرُ مِنْهُ مَعَ مَا يُعْلَمُ مِنْ حَنَّتِهِ عَلَيْهِ وَشَفَقَتِهِ، إِلَّا عِنْدَ تَكَامُلِ عَجْزِهِ عَنْهُ، وَصِدْقِ ضَرُورَتِهِ، وَإِيَاسِهِ عَنْ بِرِّ وَلَدِهِ، مَعَ وُجُودِ أَذِيَّتِهِ، فَيُسْرِعُ الْحَقُّ إِلَى إِجَابَتِهِ.[1]

(١) انظر تفسير القرطبي ١٣/٢٢٣،٢٢٤ .

١٩- عظمةُ الاضطرار: قال ابن القيم : وكَثِيرًا ما نَجِدُ أدْعِيَةً دَعا بِها قَوْمٌ فاسْتُجِيبَ لَهُمْ، فَيَكُونُ قَد اقْتَرَنَ بِالدُّعاءِ ضَرُورَةُ صاحِبِهِ وإقْبالُهُ عَلى اللّهِ. أوْ حَسَنَةٌ تَقَدَّمَتْ مِنهُ، جَعَلَ اللّهُ سُبْحانَهُ إجابَةَ دَعْوَتِهِ شُكْرًا لِحَسَنَتِهِ. أوْ صادَفَ الدُّعاءُ وقْتَ إجابَةٍ، ونَحْوَ ذَلِكَ، فَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ. فَيَظُنُّ الظّانُّ أنَّ السِّرَّ فِي لَفْظِ ذَلِكَ الدُّعاءِ، فَيَأْخُذُهُ مُجَرَّدًا عَنْ تِلْكَ الأُمُورِ الَّتِي قارَنَتْهُ مِن ذَلِكَ الدّاعِي. وهَذا كَما إذا اسْتَعْمَلَ رَجُلٌ دَواءً نافِعًا، فِي الوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي، عَلى الوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي. فانْتَفَعَ بِهِ. فَظَنَّ غَيْرُهُ أنَّ

اسْتِعْمالَ هَذا الـدَّواءِ بِمُـجَـرَّدِهِ، كافٍ في حُصُولِ المَطْلُوبِ، كانَ غالِطًا. وهَذا مَوْضِعٌ يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ. ومِن هَذا قَدْ يَتَّفِقُ دُعاؤُهُ بِاضْطِرارٍ عِنْدَ قَبْرٍ فَيُجابُ. فَيَظُنُّ الجاهِلُ أنَّ السِّرَّ لِلْقَبْرِ ولَمْ يَعْلَمْ أنَّ السِّرَّ لِلاضْطِرارِ وصِدْقِ اللَّجَأِ إلى اللَّهِ. فَإذا حَصَلَ ذَلِكَ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللَّهِ، كانَ أفْضَلَ وأحَبَّ إلى اللَّهِ. انْتَهى. الجواب الكافي ص:١٥ .

وقال الذهبي رحمه اللّٰه تعالى: (دعاء المضطر مجاب في أي مكان اتفق).(١)

٢٠- خواصُ المضطرين : حيث إنّ بعضهم يقول

(١) السير: ٩/٣٤٤ .

دعوت ودعوتُ ولكن...!! فليُعلم أن ثمة خواصا لهم صدق وبر ونجاعة . « الألفُ واللام في (المضطر) للجنس لا للاستغراق، فقد لا يجابُ دعاء بعض المضطرين، لمانع يمنع من ذلك بسبب يحلله العبد، يحول بينه وبين إجابة دعائه، وإلا فقد ضمن اللّه سبحانه إجابة دعاء المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه، والوجه في إجابة دعاء المضطر أن ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الإخلاص، وقطع النظر عما سوى اللّه.

وقد أخبر اللّه سبحانه بأنه يجيبُ دعاء

المخلصين له الدين، وإن كانوا كافرين، فقال (حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) وقال: (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) فأجابهم عند ضرورتهم ، وإخلاصهم مع علمه بأنهم سيعودون إلى شركهم».

٢١- لعل من أحسن ما يعتني به المضطرُ المكروب (أدعية الكرب الصحيحة) ومنها :

ا- حديثُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: ((لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ))؛ (١)

ب- حديث الترمذيِّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاص، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

(١) (البخاري، حديث ٦٣٤٦/ مسلم، حديث ٢٧٣٠).

﴿الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، فَإِنَّهُ لَمْ يَدعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ؛ (حديث صحيح) .[1]

ج- حديث البخاريّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ))؛[2]

د- حديث المسند عَنْ ابن مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) صحيح الترمذي؛ للألباني ٢٧٨٥ .
(٢) البخاري، حديث: ٦٣٦٩.

((مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟

قَالَ: ((أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ))؛[١]

هـ- حديث أبي داود عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ))؛[٢]

و- حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي اللّه عنه، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ بِي كَرْبٌ أَنْ أَقُولَ: ((لَا إِلَهَ إلا اللّه الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللّهِ، وَتَبَارَكَ اللّه رَبُّ الْعَرْشِ

---

(١) حديث صحيح - المسند (٤٣١٨).

(٢) (صحيح أبي داود؛ للألباني، حديث:٤٢٤٦).

الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))؛[١]

و- حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: ((يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)) (حديث حسن) [٢]

د- حديثُ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: ((اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).[٣]

---

(١) (حديث صحيح) (مسند أحمد،، حديث: ٧٠١).
(٢) (صحيح الترمذي؛ للألباني، حديث:٢٧٩٦).
(٣) (صحيح ابن ماجه؛ للألباني، حديث:٣١٣٢).

٢٢- الاضطرار نعمة وإن ضاقت النفوس منه، والقرآن يفيضُ في تبشير أهله في آياتٍ معروفات، ويكشفُ ضعفهم:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:٤٠-٤١) .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ (يونس:١٢).

(١) تفسير ابن سعدي ١/٣٧٤.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ. ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (النحل:٥٣-٥٤) .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ (الإسراء:٦٧).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم:٣٣) .

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الزمر:٤٩).

ولذلك لا ينبغي لبعضنا الضيق من شدة الكرب، وعظمة النائبة، بل يصبرُ ويحتسب، وينقطع دعاءً واستغاثةً وابتهالا ، فسيجعل اللّٰه له فرجًا ومخرجاً.

ولذلك هو خيرٌ لبعض الناس ، حيث ينتفع من حالة الاضطرار التي أصابته فلا يعود بعد كشفها عنه إلى ما كان عليه قبل الاضطرار من التقصير والغفلة ؛ فيكون من نعم اللّٰه تعالى أنه أصابه بالضراء، وألهمه الدعاء، وابتلاه وساق اللّٰه له

العبودية، وتكدرت عيشته، وعظمت إنابته..!

٢٣- ولربما طغيانِ النعم والرخاء تنسي بعضنا فضيلة الدعاء، يقو الشيخُ العلامة ابن باز رحمه اللّه؛» الدعاءُ من أفضل القربات لأن فيه الافتقار إلى اللّه والاعتراف بأنه سبحانه الغني وبأنه الرزاق وبأنه مجيب الدعاء وأنه مالك الضر والنفع، ففي ظل الدعاء إيمان باللّه وشهادة بأنه الغني الحميد، بأنه الرحمن بأنه الرحيم بأنه القادر على كل شيء، بأنه الرؤوف الرحيم هكذا في ضمن الدعاء، فهو تعالى يدعى وهو القادر على الإجابة، فبيده كل

شيء سبحانه وتعالى، وبيده الضر والنفع والعطاء والمنع والخير والشر كله بيده سبحانه وتعالى، وهو المتصرف في عباده كيف يشاء، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولهذا قال سبحانه ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (غافر:٦٠) سمى الدعاء عبادة والمستكبر عنها متوعد بجهنم، فمن استكبر عن عبادة اللّٰه وطاعته فهو موعود بالنار لكبره عن دعاء ربه واستغنائه عنه تعالى، ويقول جل وعلا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾

(النمل:٦٢) هو الذي يجيب المضطر ويكشف السوء، وهو القادر على كل شيء جل وعلا، ويقول سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لكم﴾ (غافر:٦٠)،».

٢٤- وأيضًا يوصى المضطر المجهود بأدعية شرعية أخرى نبهت على الاسم الأعظم ومنها:

١- حديثُ أبي أمامة رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال: (اسْمُ اللّٰهِ الأَعظَمُ فِي سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ ثَلَاثٍ: فِي «البَقَرَةِ» وَ «آلِ عِمرَانَ» وَ « طَهَ »[1].

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) وحسَّنه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

ب- حديثُ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى.[1]

ج- حديثُ بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيْبِ رضي اللَّه عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٤) وأبو داود (١٤٩٥) والنسائي (١٣٠٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) ، وصححه الألباني في « صحيح أبي داود » .

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » ، فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ.[(١)]

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :

وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.[(٢)]

٢٥- ومنها : كلمات عظمها الشارع نحو :

حديثُ (أَلِظُّوا بـ: «يا ذا الجلال والإكرام) .[(٣)]

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٥) وأبو داود (١٤٩٣) وابن ماجه (٣٨٥٧) ، وصححه الألباني في « صحيح أبي داود » .

(٢) فتح الباري « (١١ / ٢٢٥) .

(٣) فأخرجه أحمد في «المسند»(١٧٥٩٦)، من حديث ربيعة بن عامر ، والحاكم «المستدرك» (١٨٣٦، ١٨٣٧) من حديث أبي هريرة ، وصححه . ورواه الترمذي وغيره من حديث أنس أيضا . وصححه الألباني ، ومحققو المسند .

والإلظاظ: اللزوم والمثابرة، فالمعنى: « تعلقوا بها والزموا وداوموا عليها » .

قال المناوي رحمه اللّٰه :

« (ألظوا بياذا الجلال والإكرام) : بفتح الهمزة وكسر اللام ، وبظاء معجمة مشددة . أي : الزموا هذه الدعوة ، وأكثروا منها ... وفي رواية سندها قوي ، من حديث ابن عمر : (أَلِحُّوا) .. ، ومعناهما متقارب ، ذكره ابن حجر رحمه اللّٰه .

٢٦- وليكن هجّيراه (ياذا الجلال والإكرام)

(يا حي يا قيوم) في كل حال ومناسبة . يقول ابن

تيمية رحمه اللّٰه :» ومن تجريبات السالكين التي

جربوها فألفوها صحيحةً: أن من أدمن يا حي يا

قيوم لا إله إلا أنت، أورثه ذلك حياة القلب والعقل.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللّٰه روحه

شديد اللهج بها جدًا، وقال لي يومًا: لهذين الاسمين

الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب».[1]

---

(١) مدارج السالكين٤٤٦ .

وكذلك في تفريج الكرب، واندفاع النقم، ولابنِ القيم أيضًا:» وَفِي تَأْثِيرِ قَوْلِهِ: «يا حَيُّ يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» في دَفْعِ هَذا الدّاءِ مُناسَبَةٌ بَدِيعَةٌ فَإِنَّ صِفَةَ الحَياةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفاتِ الكَمالِ، مُسْتَلْزِمَةٌ لَها، وصِفَةُ القَيُّومِيَّةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفاتِ الأفْعالِ، ولِهَذا كانَ اسْمُ اللَّهِ الأعْظَمُ الَّذِي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أعْطى: هو اسْمُ الحَيِّ القَيُّومِ، والحَياةُ التّامَّةُ تُضادُّ جَمِيعَ الأسْقامِ والآلامِ، ولِهَذا لَمّا كَمُلَتْ حَياةُ أهْلِ الجَنَّةِ لَمْ يَلْحَقْهم

هَمٌّ ولا غَمٌّ، ولا حَزَنٌ ولا شَيْءٌ مِنَ الآفاتِ. ونُقْصانُ الحَياةِ تَضُرُّ بِالأفْعالِ، وتُنافِي القَيُّومِيَّةَ، فَكَمالُ القَيُّومِيَّةِ لِكَمالِ الحَياةِ، فالحَيُّ المُطْلَقُ التّامُّ الحَياةِ لا تَفُوتُهُ صِفَةُ الكَمالِ ألْبَتَّةَ، والقَيُّومُ لا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلٌ مُمْكِنٌ ألْبَتَّةَ. فالتَّوَسُّلُ بِصِفَةِ الحَياةِ القَيُّومِيَّةِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي إزالَةِ ما يُضادُّ الحَياةَ، ويَضُرُّ بِالأفْعالِ».

٢٧- ومن الأذكار المتينة والمعينة للمجهود قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) وهي كنز من كنوز الجنة كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه: («ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة،؟فقلت: بلى، يا

رسول اللّٰه قال: قل: لا حول ولا قوة إلا باللّٰه). [1]

قال الإمامُ ابن تيمية رحمه اللّٰه :»وليكن هجّيراه لا حول ولا قوة إلا باللّٰه، فإنها بها تحملُ الأثقال ، وتكابدُ الأهوال ، ويُنالُ رفيع الأحوال« ومن أحسن ما قيل في معنى لا حول ولا قوة إلا باللّٰه : أي« لا تحول للعبد من حال إلى حال ، ولا قوة له على ذلك إلا باللّٰه» .[2]

٢٨- تحسينُ الظن واعتقاد الإجابة، والطمعُ البالغ في رحمة اللّٰه ،قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكلما قوي طمع العبدُ في فضل اللّٰه ورحمته

(١) البخاري(٤٢٠٥) ومسلم(٢٧٠٤).
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/١٣٧ .

لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له، وحريته مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه» .

فَلَا تجْزَعْ وَإِنْ أُعْسِرْتَ يَوْمًا	فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ
وَلَا تَيْأَسْ فَإِنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ	لَعَلَّ اللّٰه يُغْنِي عَنْ قَلِيلِ
وَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ	فَإِنَّ اللّٰه أَوْلَى بِالْجَمِيلِ

٢٩- أنبياء اللّٰه تعالى عاشوا حالات من الاضطرار، فدعوا ربهم دعاء المضطرين كقول إبراهيم ومحمد عليهما السلام (حسبي اللّٰه)،

قالها الخليل حين قذف في النار، وقالها محمد حين قيل له: إن الناس قد جمعوا لكم، ودعاء نوح ﴿أَنِّـي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ القمر: ١٠، وقال يعقوب ﴿أَشْكُو بَثِّي وَحُـزْنِـي إِلَـى اللَّهِ﴾ يوسف: ٨٦، وقال أيوب ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٣ وقال يونس ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧.

٣٠- الاضطرارُ له مقامان : مقام يعيشه المؤمنُ دائما مع اللّه، وهو يستشعر فقره، وحاجته، فيدعو اللّه على الدوام، ولا يهجره، ولا يتكدر إذا تأخرت

الإجابـة ، ومقام تتأزم معه الأمـور ، فيتصاعد يقينه، وتتقطع اسباب الخلق عنه، فيخلص رجاءه لربه، كما حصل ليونس عليه الســلام:(فنادى في الظلمات) وكذلك ايوب عليه السلام، لمًا بلغ به السقم مبلغه: (أنـي مسني الضرُ وأنـت أرحم الراحمين).

٣١- قال الإمامُ ابن القيم رحمه اللّه :» وَأمّا دَعْوَةُ ذِي النُّونِ: فَإنَّ فِيها مِن كَمالِ التَّوْحِيدِ والتَّنْزِيهِ لِلرَّبِّ تَعالى، واعْتِرافِ العَبْدِ بِظُلْمِهِ وذَنْبِهِ، ما هو مِن أبْلَغِ أدْوِيَةِ الكَرْبِ، والهَمِّ، والغَمِّ، وأبْلَغِ الوَسائِلِ

إلـى اللَّهِ - سُبْحانَهُ - فِي قَضاءِ الحَوائِجِ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ والتَّنْزِيهَ يَتَضَمَّنانِ إثْباتَ كُلِّ كَمالِ اللَّهِ، وسَلْبَ كُلِّ نَقْصٍ وعَيْبٍ وتَمْثِيلٍ عَنْهُ.

والِاعْتِرافُ بِالظُّلْمِ يَتَضَمَّنُ إيمانَ العَبْدِ بِالشَّرْعِ والثَّوابِ والعِقابِ، ويُوجِبُ انْكِسارَهُ ورُجُوعَهُ إلى اللَّهِ واسْتِقالَتَهُ عَثْرَتَهُ، والِاعْتِرافَ بِعُبُودِيَّتِهِ، وافْتِقارَهُ إلى رَبِّهِ، فَهاهُنا أرْبَعَةُ أُمُورٍ قَدْ وقَعَ التَّوَسُّلُ بِها: التَّوْحِيدُ، والتَّنْزِيهُ، والعُبُودِيَّةُ، والِاعْتِرافُ».

وَقالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي اللّه عنه : ما كَرَبَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِياءِ، إلّا اسْتَغاثَ بِالتَّسْبِيحِ. وقد بسط

القلم فضيلة هذه الدعوة في رسالة مستقلة اسمها (شرفات إلى رحلة المنادي في الظلمات).

٣٢- وإذا تجمع للداعي قوة الرغبة، مع اختيار اللفظ، في وقت إجابة ، كان القبولُ سريعًا ، والفرج ناجزًا ، وفضل ربك أوسع وأجدى .

٣٣- ويستجاب الدعاء ولو كان دعاء عبادةٍ محضا ، كدعاء يونس ودعاء الكرب . قال الإمامُ القرطبي رحمه اللّٰه تعالى:

« وقوله: (كان صلى اللّٰه عليه وسلم يقول عند الكرب: لا إله إلا اللّٰه العظيم الحليم...) الحديث.

قال الطبري: كان السلف يدعون بهذا الدعاء، ويسمونه: دعاء الكرب.

فإن قيل: كيف يسمى هذا دعاء وليس فيه من معنى الدعاء شيء، وإنما هو تعظيم لله تعالى، وثناء عليه؟ فالجواب: إن هذا يسمى دعاء لوجهين:

أحدهما: أنه يستفتح به الدعاء، ومن بعده يدعو. وقد ورد في بعض طرقه: (ثم يدعو).

وثانيهما: أن ابن عيينة قال - وقد سُئِل عن هذا -: أما علمتَ أن اللّٰه تعالى يقول: (إذا شغل عبدي ثناؤه عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين).

وقد قال أمية بن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرءُ يوما ... كفاه من تعرضك الثناء

قلت: وهذا الكلام حسن، وتتميمه أن ذلك إنما كان لنكتتين:

إحداهما: كرم المُثنَى عليه، فإنه إذا اكتفى بالثناء عن السؤال، دل ذلك على سهولة البذل عليه، والمبالغة في كرم الحق. وثانيهما: أن المثني لما آثر الثناء، الذي هو حق المثنَى عليه، على حق نفسه الذي هو حاجته؛ بودر إلى قضاء حاجته،

من غير إحواج إلى إظهار مذلة السؤال؛ مجازاة له على ذلك الإيثار، واللّٰه تعالى أعلم.

ومما قد جاء منصوصا عليه وسُمي دعاء، وإن لم يكن فيه دعاء ولا طلب، ما أخرجه النسائي من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: (دعوة ذي النون ...).[1]

٣٤- شرفُ الدعاءِ وفضله يجعل المبتلى يلزمه بدون تغافل ، لا سيما وهو أكرم شيءٍ على اللّٰه، وقد في الحديث الصحيح ، قال رسول اللّٰه -صلى اللّٰه عليه وسلم-: (إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّٰهَ يَغْضَبْ

(١) المفهم» (٧ / ٥٦ - ٥٧).

عَلَيْهِ)[١] .

وذلك لأنَّ اللّٰه يُحِبُّ أن يُسأَلَ مِن عبدِه؛ لِمَا في ذلك مِن الاعتِرافِ برُبوبيَّتِه وألوهيَّتِه، وتَرْكُ ذلك فيه استِغْناءٌ وتكبُّرٌ مِن العبدِ، وقد قال اللّٰه -عز وجل-: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر:٦٠)، وقوله: (عِبَادَتِي) في الآية أي: دُعَائِي وَتَوْحِيدِي . وداخلين صاغرين حقيرين .

ولقد أحسنَ من قال:

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني(٣٣٧٣) . والبخاري في «الأدب المفرد» (٢/١١٤)

لا تسألنَّ بُنيَّ آدم حاجة	وسلِ الذي أبوابه لا تُحجبُ
اللّه يغضبُ إن تركت سؤاله	وبُني آدمَ حين يُسأل يغضبُ..!

٣٥- وفي الدعاء قصدٌ توحيدي يعترف بغنى الرب، وافتقار العبد، (يا أيها الناسُ أنتمُ الفقراء إلى اللّه) سورة فاطر . وقال الإمام الخطابي رحمه اللّه: «معنى الدعاء استدعاء العبدِ ربَّه عز وجل العنايةَ، واستمدادُه منه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إلى اللّه تعالى، والتبرّؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعارُ الذلة البشريَّة، وفيه معنى الثناء على اللّه عز وجل، وإضافة الجود

والكرم إليه، ولذلك قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة» .[1]

وقوله صلى اللّٰه عليه وسلم لابن عباس رضي اللّٰه عنهما: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ اللّٰه، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللّٰهِ»[2]

٣٦- ولما كان العبد ضعيفًا ، والبشر من حوله نافرين، شرع له الدعاء وتوثيق الصلة بخالقه تعالى، يقول الإمام ابن القيم رحمه اللّٰه: «والدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول

(١) شأن الدعاء: ص: ٤

(٢) أخرجه أحمد: (٢٦٦٩)، والترمذي: (٢٥١٦)، وصححه.

المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن.

وللدعاء مع البلاء ثلاث مقامات:

١- أن يكون الدعاء أقوى من البلاء فيدفعه.

٢- أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد، ولكن يخففه وإن كان ضعيفًا.

٣- أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»[١].

٣٧- من أسباب تأخر الإجابة: قال ابن القيم - رحمه الله - : «وكذلك الدعاء فإنه من أقوى

(١) الجواب الكافي ص:٧.

الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يختلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاءً لا يحبه اللّٰه لما فيه من العدوان، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًا فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا، وإما لحصول المانع من الإجابة : من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليه كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : «ادعو اللّٰه، وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن اللّٰه لا يقبل دعاءً من

قلب لاهٍ» فهذا دواء نافع مزيل للداء ولكنْ غفلةُ القلب عن اللّٰه تبطل قوته وكذلك أكل الحرام يبطل قوتها ويضعفها... قال أبو ذر : يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح» .

٣٨- مقوياتُ الإجابة : وقال رحمه اللّٰه تعالى :

«وإذا جمع مع الدعاء حضورَ القلب وجمعيته بكليته على المطلوب؛ وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة وهو : الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى

تُقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر؛ وصادف خشوعًا في القلب وانكسارًا بين يدي الرب وذلاً له وتضرعًا ورقة؛ واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى اللّٰه، وبدأ بحمد اللّٰه والثناء عليه ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله صلى اللّٰه عليه وسلم ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ... وألح في المسألة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقةً فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرد أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي

صلى اللّٰه عليه وسلم أنها مظنة الإجابة ، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم». [١]

٣٩- ولذلك إذا فُتح على العبد في الدعاء فهو في خير بهيج، وفي سعادة غامرة، تخفف عنه لأواء المصيبة، وحراره الظلم والجهد ، ولا يقلق من المدة، أو يستوحش الانتظار، ففضل اللّٰه واسع، ورحمته سابقة، ومدده لا ينقطع (اللّٰه لطيف بعباده). سورة الشورى : ١٩ .

قال في روح البيان:» أي كثير اللطف بهم، بالغ الرأفة لهم، قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث

(١) الجواب الكافي ص:١٢ .

لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم، قال عكرمة: بار بهم وقال السدي: رفيق بهم وقيل: حفيٌّ بهم. وقال القرطبي: لطيف بهم في العرض والمحاسبة، وقيل: في إيصال المنافع وصرف البلاء، وقيل لطف بالغوامض علمه، وعظم عن الجرائم حلمه، وقيل اللطيف من ينشر المناقب ويستر المثالب، أو يعفو عمن يهفو، أو يعطي العبد فوق الكفاية، ويكلفه الطاعة دون الطاقة.

وقال الجُنيد: لطف بأوليائه فعرفوه ولولا لطفه بأعدائه ما جحدوه ، وقال جعفر الصادق: يلطف

بهم في الرزق من وجهين، أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات، الثاني أنه لم يدفع إليك مرة واحدة فتبذره».

وقال ابن القيم رحمه اللّٰه : « واسمه اللطيف يتضمن : علمه بالأشياء الدقيقة ، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية» .

٤٠- بتأمل آية المضطر، وثمارها تربي فينا التوحيد، وأن اللّٰه وحده هو القادر على إجابةِ الدُعاء، وكشفِ الضُر، وإزالة الأذى، وهو نصيرُ المستضعفين، وولي المظلومين ، ومغيث المجهودين،

(١) شفاء العليل « (ص: ٣٤) .

وقدير على دفع الخطر، وتحقيق الظفر، والبلوغ بهم منائر السعادات ، وحدائق الأماني.

٤١- وإنما فاز المضطر بما فاز ، بسبب إخلاص يعتلج في روحه، ويقين يتقد من توحيده ، وانفصال عن بشر، لا ينفعوه ، وخالط كل ذلك رقةٌ وإشفاق، وإلحاح والتجاء (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) سورة الأنعام: ٤٣ .

« (فلولا) أي فهلا (إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) لكنهم لم يتضرعوا مع قيام المقتضى له وهو الباساء والضراء، وهذا عتاب لهم على ترك

الدعاء في كل الأحوال حتى عند نزول العذاب بهم لشدة تمردهم وغلوهم في الكفر، ويجوز أن يكون المعنى أنهم تضرعوا عند أن نزل بهم العذاب وذلك تضرع ضروري لم يصدر عن إخلاص فهو غير نافع لصاحبه، والأول أولى كما يدل عليه.

(ولكن قست) أي صلُبت وغلظت فلم تضرع ولم تخشع (قلوبهم) واستمرت على ما هي عليه من القساوة ولم تَلِن للإيمان».

٤٢- والآية درسٌ لكل مشركٍ وملحد أو مقصر في جنب اللّٰه تعالى، أن يتعظ من هذا البرهان

الواقعي الذي يحصل لكثير من الناس، فتقضى حوائجهم ، وتتزاح كروبهم، وتُيسر أمورهم...!

٤٢- ومن المبشرات فيها استخلاف أهلها وذرياتهم ، وبسط الأرض لهم كما قال:(ويجعلكم خلفاء الأرض).

٤٣- ومن دروسِها : أن التوحيد حقائق يشهد لها الواقع ، وتصدقها تجاربُ الناس (أءله مع اللّٰه).

وينسب للبيد بن ربيعة قوله:

فَيا عَجَباً كَيفَ يُعصى الإِلَهُ	أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ؟!

وَفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ	تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحريكَةٍ	وَتَسكينَةٍ أَبَداً شاهِدُ

٤٤- لذلك كان هذا النصُ دليلًا عمليا على بطلان كل الشركيات المزعومة ، والأصنام المقدسة، وهي عريةٌ عن كل قدرة وإرادة وتأثير.. ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ سورةُ الإسراء:٦٧ .

قال القرطبي رحمه اللّٰه:» المعنى في هذه الآية : أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة ،

وأن لها فضلا . وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علما لا يقدر على مدافعته أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام ، فوقفهم اللّه من ذلك على حالة البحر حيث تنقطع الحيل .

فلما نجاكم إلى البر أعرضتم أي عن الإخلاص.

وكان الإنسان كفورا الإنسان هنا الكافر . وقيل: وطبع الإنسان كفورا للنعم إلا من عصمه اللّه فالإنسان لفظ الجنس».

٤٥- الإلحاح في الدعاء من أحسن ما تحلى به الداعي ، ومما يحبه اللّه ويرضاه ، وليس فيه

اعتراض على القدر ، بل هو إصرار على بلوغ المراد ضمن الأسباب المشروعة ، والدعاء أحد هذه الأسباب ، فهو من قضاء اللّه وقدره ، وهو علامة العبودية ، وأمارة الإيمان .

قال ابن القيم : « ومن أنفع الأدوية : الإلحاح في الدعاء » انتهى.[1]

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُم مَا لَمْ يَعْجَلْ : يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)[2]

(١) « الجواب الكافي » (ص/٢٥) .

(٢) رواه البخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٢٧٣٥)

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللّٰه :

« في هذا الحديث أدبٌ من آداب الدعاء وهو أنه يلازمُ الطلب ، ولا ييأس من الإجابة ؛ لما في ذلك من الانقياد ، والاستسلام ، وإظهار الافتقار حتى قال بعض السلف : لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة . وكأنه أشار إلى حديث ابن عمر رفعه : (من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة) ، الحديث أخرجه الترمذي بسند لين ، وصححه الحاكم فوهم .

قال الداودي : يُخشى على من خالف وقال قد

دعوت فلم يستجب لي أن يحرمَ الإجابة ، وما قام مقامها من الادخار والتكفير انتهى ... وإلى ذلك أشار ابن الجوزي بقوله : اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد ، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة ، أو يعوض بما هو أولى له عاجلا أو آجلا ، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه ، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض « انتهى

٤٦- ومن المضطرين: المريض الذي ترددت صحته، والمديون الذي أنهكته الديون، والمجهود الذي انسدت في وجهه السبل، والمظلوم الذي أُحيط

به، والمكروب الذي نهشته الرزايا، وتخلى أقربُ الناس عنه، ومن خلال حوائجهم تتصرفُ أمانيهم إلى خالقهم ، فيتعاظم الإخلاص، وتشتعل الرغبةُ، ويشتد اللجء ، ويطولُ الإلحاح ، حتى إن القلبَ ليحزن، والدمع لينهمر، والروح لتتكسر، حتى يأذن اللّٰه بفرجه، وتتسكب رحماته، وتتضاعف أفضاله، فلا تشاهد بعدها إلا سرورًا وأُنساً .

٤٧- وصخب الحياة وما فيها من بلايا وتأزمات، يصنع المناخ الملائم لحالة الاضطرار، فيعلو التوحيد، ويشتد التعلقُ باللّٰه الحي القيوم .

٤٨- وخليقٌ بكل عاقل أن يربي فيه الاضطرار محبةَ الدعاء والتزامه ، لا سيما وقد فُتح له في أنواره ، وذاق من حلاوته ، ولامس كنوزه وجواهره ، قال تعالى :(ادعوا ربكم تضرعًا وخفية) سورة الأعراف. فيزداد تمسكًا ، ويشتد إلحاحا. وقال سفيان رحمه اللّٰه : « الإلحاحُ لا يصلح ولا يجملُ إلا على اللّٰه عز وجل» .

قال الأوزاعـي رحمه اللّٰه: كان يُقال: « أفضلُ الدعاء الإلحاحُ على اللّٰه والتضرعُ فيه».

وقال الإمام ابن عبدالبر رحمه اللّٰه: « قالوا : إن

اللّه يحب أن يُسأل، ولذلك أمر عباده أن يسألوه من فضله، وقالوا: لا يصلح الإلحاح على أحد إلا اللّه عز وجل» .

٤٩- إن الاضطرار يُعرّفُ المرءَ حقيقةَ نفسِه، وانه مخلوق ضعيف ، وان الحياة كئيبة ، وفيها شرور وظلمة، ومتجاوزون وحسدة، والعدة لكل ذلك دعاء اللّه وذكره ، وتمجيده وتسبيحه، كما قال نوح عليه السلام ، وقد ضاقت عليه السبل، وانتهت به الحيلُ، وقد عانى في الألف سنة إلا خمسين عامًا: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ). سورة القمر : ١٠ .

قيل: أَيِّ: إِنِّي ضَعِيفٌ عَنْ هَؤُلَاءِ وَعَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ ﴿فَانْتَصِرْ﴾ أَنْتَ لِدِينِك. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾

وفي تفسير الطبري : يقول تعالى ذكره: فدعا نوح ربه: إن قومي قد غلبوني، تمرّدوا وعتوا، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك.

وقال في نظم الدرر:» ولَمّا طالَ ذَلِكَ مِنهم ومَضَتْ عَلَيْهِ أجْيالُهم جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ حَتّى مَضى لَهُ مِن إنْذارِهِمْ أكْثَرُ مِمّا مَضى مِنَ الزَّمانِ لِأُمَّةِ هَذا النَّبِيِّ

الخاتَمِ إلى يَوْمِنا هَذا، وأخْبَرَهُ اللَّهُ أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنهم إلّا مَن قَدْ آمَنَ مَعَهُ، تَسَبَّبَ عَنْ ذَلِكَ الدُّعاءُ بِالرّاحَةِ مِنهُمْ، فَلِذَلِكَ قالَ صارِفًا وجْهَ الخِطابِ إلى صِفَةِ الإحْسانِ والرُّبُوبِيَّةِ والِامْتِنانِ إيذانًا بِأنَّهُ أجابَ دُعاءَهُ ولَبّى نِداءَهُ: ﴿فَدَعا رَبَّهُ﴾ أيِ الَّذِي رَبّاهُ بِالإحْسانِ إلَيْهِ بِرِسالَتِهِ مُعْلِمًا لَهُ لَمّا أيِسَ مِن إجابَتِهِمْ: ﴿أنِّي مَغْلُوبٌ﴾ أيْ مِن قَوْمِي كُلِّهِمْ بِالقُوَّةِ والمَنَعَةِ لا بِالحُجَّةِ، وأكَّدَهُ لِأنَّهُ مَن يَأْبى عَنِ المَلِكِ الأعْظَمِ يَكُونُ مَظِنَّةَ النُّصْرَةِ، وإبْلاغًا في الشِّكايَةِ إظْهارًا لِذُلِّ العُبُودِيَّةِ، لِأنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ عالِمٌ بِسِرِّ

العَبْدِ وجَهْرِهِ، فَما شَرَعَ الدُّعاءَ في أصْلِهِ إلّا لإظْهارِ التَّذَلُّلِ، وكَذا الإبْلاغِ فِيهِ ﴿فانْتَصِرْ﴾ أيْ أوْقِعْ نَصْرِي عَلَيْهِمْ أنْتَ وحْدَكَ عَلى أبْلَغِ وجْهٍ».

٥٠- ويفهمُ من هذا أنّ الاضطرار حالةٌ دنيوية تلازم البشر، وتعتريهم في حياتهم ومعايشهم، ولو كانوا أفاضل الناس، بل ربما شُدد عليهم لصلاحهم وأشد الناس بلاءً الانبياء ثم الصالحون فالأمثل والأمثل، فيحملهم على الصبر وبلوغ أمنيات الدعاء، والترقي في منازل العبودية.[١]

٥١- ومن فوائدها كما ذكر شيخنا العلامةُ

(١) نظم الدرر/١٠٣/١٩ .

ابن عثيمين رحمه اللّٰه: أولاً: قدرة اللّٰه سبحانه وتعالى، لأن قوله: ((يُجِيبُ)) يشمل كل ما يتطلبه الضرورة من قليل أو كثير، فيكون في ذلك دليل على قدرة اللّٰه سبحانه وتعالى.

٥٢- ومن فوائدها أيضاً: بيان أن رحمة اللّٰه تعالى سبقت غضبه، لأن قوله: ((الْمُضطَرَّ)) يشمل الكافر والمؤمن.

٥٢- أن المضطر مجاب الدعوة مطلقاً، لقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ﴾ (النمل:٦٢) ولم يقيده بالمؤمن.

٥٣- أن إجابة المضطر المتحتمة مشروطة بما إذا دعاه، لقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل:٦٢)، وأما إذا لم يدعه فقد يجيبه، وقد.. يعني: فقد يزيل ضرورته، وقد لا يزيلها، لأن المضطر قد لا يدعو اللّٰه تعالى استغناءً بما عنده من الأمور المادية عن دعاء اللّٰه سبحانه وتعالى، فيستأنف عن دعائه، وحينئذٍ لا تكشف ضرورته. فالمهم! أن إجابة المضطر هنا اشترط اللّٰه تعالى أن يكون المضطر داعياً، فقال: ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ النمل:٦٢.

٥٤- منَّة اللّٰه تبارك وتعالى على عباده بكشف السوء، أي: إزالته عن الجميع.

٥٥- أنـه يجب على المـرء ألا يلتفت في كشف السوء إلا إلى اللّٰه، لأنه لا يكشف السوء إلا اللّٰه سبحانه وتعالى، فعلى هذا يجب عليك ألا تعلِّق هـذا الأمـر إلا بربك الـذي هو قـادر على كشفه، وتعلُّقك بغيره خـذلان لـك، فمن تعلَّق شيئاً وكل إليه، ولكن هل هذا الكلام ينافي فعل الأسباب؟ لا ينافيها، لأن فاعل الأسباب إن كان يعتقد أن السبب وحده هو الفاعل لذاته فإنه ينافي ما ذكرنا، وإن كان يعتقد أن السبب هو الفاعل ولكن بتقدير اللّٰه فهذا من التعلُّق باللّٰه سبحانه وتعالى، لأنه لا

ينافي إذا توكلت عليه واعتمدت عليه أن تفعل من الأسباب ما جعله اللّٰه سبباً.

٥٦- بيان منَّة اللّٰه سبحانه وتعالى، إذ جعل الناس على هذه الأرض خلفاء، يخلف بعضهم بعضاً.

٥٧- ومنها: وفي هذا دليل على كمال قدرة اللّٰه في جعل الخلفاء، يعني: هو من رحمة اللّٰه، وهو أيضاً من قدرته، لأن فيه إحياءً وإماتة، إماتة للأولين وإحياءً للآخرين، وهذا من آيات اللّٰه وقدرته، ولهذا احتج إبراهيم على المتمرد بقوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي

﴿وَيُمِيتُ﴾ (البقرة:٢٥٨) فدل هذا على أن الإحياء والإماتة من آيات اللّٰه سبحانه وتعالى الدالة على قدرته.

٥٨- ومنها: أنه مهما ظهرت القرائن والبراهين، فإن من الناس من لا يتعظ بها، لقوله: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل:٦٢) نعم. وأن من المتَّعظين أيضاً من قد يكون اتعاظه قليلاً، لأن قوله: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل:٦٢) يتضمن التذكر من واحد، والتذكر من جماعة، فـ ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل:٦٢) يعني: أن الواحد منا قد يتذكر لكن

قليلاً، وكذلك أيضاً الفئات من الناس لا يتذكرون، ولا يتذكر من الناس إلا القليل، والمتذكِّر أيضاً تذكُّره قليل إلا من عصم اللّٰه سبحانه وتعالى.

٥٩- ومن فوائد الآية: أن في الكون سوءًا ، وفي البشر حاجة لا يقضيها إلا اللّٰه، وهذا من براهين وحدانيته واستحقاقه العبودية تبارك وتعالى (أمن يجيب المضطر).

٦٠- في الآية بارقةُ أمل ، وشعاع فرح، أن الامور تتغير، والأوضاع ستصلح، والغموم ستزول، ما استعصم أحدنا بالدعاء منكسرًا ذليلًا... ﴿وقَالَ

ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ سورة غافر.

٦١- أن الكونَ قد عرف إلهه ، ولايقدر على شؤونه إلا حي كامل القيومية وهو ربنا تعالى (الحي القيوم) الذي له ما في السموات وما في الأرض، تبارك اللّٰه ، وهو على كل شيءٍ قدير.

٦٢- ومنها : قوةُ التوحيد ، مع صدق الانكسار نافذة الفرج بإذن اللّٰه تعالى .

٦٣- ومن قدرته العظيمة تبارك وتعالى ، أنه لا يتعاظمه سوء، ولا يفوته كرب، ولا يعجزه شيءٌ في ملكوته كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن

﴿شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾

(فاطر ٤٤).

أي ما كان ليسبقه ويفوته شيء من الأشياء ، كائناً ما كان فيهما، وهذا تقرير لما يفهم مما قبله من استئصال الأمم السابقة.

(إنه كان عليماً قديراً) أي كثير العلم كثير القدرة لا يخفى عليه شيء ولا يصعب عليه أمر، وهذا تعليل لذلك التقرير.

٦٤- تضمنت الآية إجابةً وكشفًا وتمكينًا ، وفي ذلك تحريض للمبتهلين أن يضاعفوا خضوعهم،

ويشدوا في مناجاتهم ، فالإجابةُ تحققٌ، والكشف سعادة ، والاستخلاف تمكينٌ وقوة.

٦٥- كلُّ مضطر يشمله ذاك ولو وقع منه ما وقع، فالمهم صدق الإقبال ، وكثرةُ اللح، وتعميق الرغبة والانطراح ، قال بعضهم : « ادعُ بلسان الذلة والانبار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق «. وفي الحديث الصحيح: (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا).

دل هذا الحديث الشريف على مشروعية رفع اليدين في الدعاء، وأن هذا الفعل سبب من أسباب

الإجابة، لما في هذه الهيئة من إظهار الحاجة والذل وديمة الافتقار، من العبد أمام الغني الكريم، وتفاؤلاً في أن يضع فيهما حاجته التي سأل ربه، لأنه سبحانه من جوده وكرمه يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما خائبتين .

٦٦- لاستجابة الدعاء علامات يشعر العبد المسلم بها نحو صفاء القلب.

والشعور بالطمأنينة وراحة النفس. وكذلك عندما يندمج المسلم في الدعاء من كل قلبه، يجد نفسه يبكي من شدة خشوعه للّٰه تعالى وتنهمر الدموع بلا تكلف .

ويخالطه الهدوء والسكون بعد استجابة الدعاء.

وتنقشعُ همومه، وتحل المشاكل التي كانت تصيب المؤمن ولجأ إلى اللّه في حلها.

وكذلك يشعر المؤمن بأن اللّه سوف يجيب دعاءه حتى وإن تأخر ذلك، في فيداخله اليقين الحقيقي، ولا يمل ولا يستحسر ...!

٦٧- قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه اللّه: «يجبُ على المسلم أن يلح في الدعاء ويسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وقال جل وعلا: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ وقال سبحانه: وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ فعلينا أن نلح في الدعاء، ولا نستبطئ الإجابة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح، يقول - صلى اللّٰه عليه وسلم - يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت ودعوت فلم أره يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء

فلا ينبغي للمؤمن أن يدع الدعاء وإن تأخرت الإجابة، فاللّٰه حكيم عليم، في تأخير الإجابة يؤخرها سبحانه لحكم بالغة، حتى يتفطن الإنسان

لأسباب التأخير، ويحاسب نفسه، ويجتهد في أسباب القبول. من التوبة النصوح والعناية بالمكسب الحلال، وإقبال القلب على اللّه وجمعه عليه سبحانه حين الدعاء، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والنتائج المفيدة. فلو أن كل إنسان يعطى الإجابة في الحال لفاتت هذه المصالح العظيمة».[1]

٦٨- الدعاءُ بمصداقيته ، كالسلاح بضاربه: ومن كان دعاؤه بلا حضور وإشفاق فاتته الإجابة، قال ابن القيم رحمه اللّه : « والأدعيةُ والتعوذات

(١) مجموع الفتاوى للشويعر ٦ /١٤٣ .

بمنزلةِ السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به، والساعد ساعدا قويا، والمانع مفقودا، حصلت به النكاية في العدو. ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير. فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثَمّ مانع من الإجابة لم يحصل الأثر»[1].

٦٩- الدعاءُ من أبواب التوفيق: قال ابن القيِّم رحمه اللّٰه: «فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم

(١) الجواب الكافي ص: ١٥ .

يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يُجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه مستغيثًا به متضرِّعًا متذللًا مستكينًا، فمتى وُفِّق لذلك فقد قرع باب التوفيق»[1].

٧٠- لا تقطع حلاوة الدعاء الموروثة منه: قال ابن القيم: «ومن الآفات التى تمنع ترتب أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرًا أو غرس غرسًا فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله».

(١) الجواب الكافي ص:١١ .

٧١- الدعاءُ مظهرٌ عظيم من مظاهر التوحيد، تعلنُ به فقرك ، وقوة اللّٰه، وتبرهن ضعفك وعزة المولى ، وتعترفُ بحاجتك وكمال العزيز تبارك وتعالى ، ولذلك استدامته ينبوعٌ إيماني يغفل عنه كثيرون ، وفي الحديث الصحيح: (الدعاء هو العبادة)[1]

٧٢- ومعناه: أي: مِن أجلِه تَكونُ العبادةُ؛ لأنَّ العبدَ في دُعائِه لربِّه يَكونُ مُعترِفًا بكَمالِ رُبوبيَّتِه وأُلوهيَّتِه، ويَكونُ مُقبِلًا على اللّٰهِ مُعرِضًا عن غيرِه، يَدْعوه بأسمائِه الحُسْنى لا يَدْعو أحَدًا غيرَه مِن

(١) رواه أبو داود في السنن . (١٤٧٩).

نبيٍّ أو وليٍّ، مُستعينًا به في قَضاءِ حَوائجِه في الدُّنيا والآخرةِ، ثمَّ قرَأ النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم قولَه تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)، أي: اعبُدوني، وقيل: اسأَلوني؛ لأنَّ الدُّعاءَ إمَّا أن يَكونَ دُعاءَ عِبادةٍ وهو الثَّناءُ على اللَّهِ بصِفاتِه وأسمائِه، أو دُعاءَ مَسألةٍ، وهي سؤالُ العبدِ ربَّه عزَّ وجلَّ حاجتَه، وطلَبُ الرَّحمةِ والمغفرةِ، وقولُه تعالى: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أي: أُثِبْكم على عِبادتِكم، وأُعْطِكم ما تَسأَلون؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، أي:

يَكونون مُتكبِّرين عِن عِبادتي ودُعائي ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أي: يَكونُ جَزاؤُهم أنَّهم يَدخُلون النَّارَ وعَليهِمُ الذِّلَّةُ والصَّغارُ؛ جزاءَ استِكۡبارِهم عن دُعاءِ اللّٰهِ وعبادتِه.

٧٣- ومن قصص المضطرين في السنة حديثُ الثلاثة أصحاب الغار، وقد آواهم المبيتُ او المطر كما في لفظ لمسلم ، استحكمت عليهم الصخرة، وسدت المنافذ، ولا مغيث ولا منقذ لهم سوى الدعاء والانقطاع الحي القيوم ، فاجتهدوا في دعائهم واستغاثتهم، وقالوا: (إِنَّهُ لاَ يُنۡجِيكُمۡ مِنۡ

هَـذِهِ الـصَّـخْـرَةِ إِلاَّ أَنْ تَـدْعُـوا اللّٰه تعالى بصالح أَعْمَالكُمْ قَالَ رجلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ،... اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُـرُوجَ مِنْهُ..وفي آخره دعا الثالث، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ متفقٌ عليه.

قال الشيخ ابن باز رحمه اللّٰه:» فهذا الحديثُ العظيم الطويل في أخبار مَن قبلنا من الأمم ، يدل على عظم شأن النية والإخلاص للّٰه، وأن اللّٰه جل

وعلا يفرج بالأعمال الخالصة للّٰه الكروب الكثيرة، والأخطار العظيمة كما أنه سبحانه يدخل به الجنة وينجي به من النار ويضاعف به الحسنات، فالنية الطيبة لها أثر عظيم في أعمال العبد، ولهذا قال: «الأعمال بالنيات وفي اللفظ الآخر: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».

٧٤- قال الشيخُ ابن عثيمين رحمه اللّٰه وهو يستنبط الفوائد من هذا الحديث: «وفيه من العبر: أن الإخلاصَ من أسباب تفريج الكربات لأن كل واحد منهم يقول: اللهم إن كنت فعلتُ ذلك من

أجلك فافرج عنا ما نحن فيه، أما الرياء – والعياذ بالله – والذي لا يعمل الأعمال إلا رياء وسمعة حتى يمدح عند الناس؛ فإن هذا كالزبد يذهب جفاء لا ينتفع منه صاحبه؛ نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص له.

٧٥- وفي آية المضطر استعصامٌ من العباد بربهم، وتفويض أمورهم إليه، وذلك دليل إخلاصهم وتوكلهم.. (وعلى اللَّه فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) سورة المائدة:

وقد جاء عن وهب بن منبه رحمه الله أنه قال:

« قرأتُ في الكتاب الأول: إن اللّه يقول: بعزتي إنه من اعتصم بي فإن كادته السموات ومن فيهن، والأرض بمن فيها، فإني أجعل له من بين ذلك مخرجا. ومن لم يعتصم بي فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض، فأجعله في الهواء، فأكله إلى نفسه.

٧٦- وليُعلم أنه لا يدفع الضر والآفات إلا الإلهُ الحق، فتسقط كل المعبودات في جنبه وأمام قدرته تعالى، جاء في المسند عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَلْهُجَيْمٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

إِلَامَ تَدْعُو ؟ قَالَ : « أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي إِنْ مَسَّكَ ضُرٌّ، فَدَعَوْتَهُ كَشَفَ عَنْكَ، وَالَّذِي إِنْ ضَلَلْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ دَعَوْتَهُ رَدَّ عَلَيْكَ، وَالَّذِي إِنْ أَصَابَتْكَ سَنَةٌ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَ عَلَيْكَ » . وسنده صحيح[١] .

٧٧- والمضطر إذا الهم الدعاء، ولامس جواهر اليقين، سلا قلبه، وطابت روحه، فمان من الصابرين المحتسبين ، كما قال الله تعالى عنهم في آية «لن تنالوا البر»: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ (سورة البقرة : ١٧٧).

(١) المسند (٢٠٦٣٦).

قال ابن كثير رحمه الله : أَيْ: فِي حَالِ الْفَقْرِ، وَهُوَ الْبَأْسَاءُ، وَفِي حَالِ الْمَرَضِ وَالْأَسْقَامِ، وَهُوَ الضَّرَّاءُ. ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أَيْ: فِي حَالِ الْقِتَالِ وَالْتِقَاءِ الْأَعْدَاءِ، ...وَإِنَّمَا نُصِبَ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ عَلَى الْمَدْحِ وَالْحَثِّ عَلَى الصَّبْرِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ لِشِدَّتِهِ وَصُعُوبَتِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ[1]

٧٨- وقيل نصبت على الإختصاص، ولم يعطف على ما قبله لمزيد شرف الصبر وفضيلته. قال أبو

(١) انظر تفسير ابن كثير١/٣٥٧

علي : إذا ذكرت صفات للمدح أو الذم وخولف الأعراب في بعضها فذلك تفنن ويسمى قطعاً، لأن تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع الذكر ومزيد اهتمام بشأنه.

وقال الراغب: ولما كان الصبر من وجه مبدأ للفضائل ومن وجه جامعاً للفضائل إذ لا فضيلة إلا وللصبر فيها أثر بليغ، غير إعرابه تنبيهاً على هذا المقصد، وهذا كلام حسن، فالآية جامعة لجميع الكمالات الإنسانية وهي صحة الإعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس.

٧٩- مهما كان شدة كربك ، أو ظلمة حياتك ، سيجعل اللّٰه لك نافذةً تتنفس معها ، حتى ينفرج كل شيء ،، يقول مالك بن دينار رحمه اللّٰه : خرجت إلى الحج، و بينما أنا سائر في البادية، إذ رأيت غراباً في فمه رغيف! فقلت: هذا غراب، إن له لشأناً!.

فتتبعته حتى نزل عند غار، فذهبت إليه، فإذا بي أرى رجلا مشدوداً لا يستطيع فكاكاً، و الرغيف بين يديه!.

فقلت للرجل: ما شأنك؟ فقال: أنا من حجاج

البيت، أخذ اللصوص مالي ومتاعي، وشدوني وألقوني في هذا الموضع، فصبرت على الجوع أياماً، ثم توجهت إلى ربي بقلبي وقلت:

يا من قال في كتابه العزيز «أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء»، فأنا مضطر فارحمني، فأرسل اللّه لي هذا الغراب بطعامي.

٨٠- الاضطرار يبدأ بشدة وينتهي إلى فرج ومتعة، قال السعدي في تفسيره : أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا

اللّٰه وحده؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا اللّٰه وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم أإله مع اللّٰه يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع اللّٰه شيئًا من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا اللّٰه مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته، ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: قليل تذكركم وتدبركم للأمور التي إذا تذكرتموها ادَّكرتم

ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم فلذلك ما أرعويتم ولا اهتديتم.

٨١- وتشبه آية الاضطرار قوله تعالى :(فإن مع العسر يسرًا ، إن مع العسر يسرًا) سورة الشرح .

أي أن مع الضيقة سعة، ومع الشدة رخاء ومع الكرب فرجاً، وفي هذا وعد منه سبحانه بأن كل عسير يتيسر، وكل شديد يهون، وكل صعب يلين، ومع بمعنى (بعد)، وفي التعبير بها إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن.

ويروى عن أنس قال كان النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم جالساً وحياله جُحر فقال: « لو دخل

العسرُ هذا الجحر لجاء اليسرُ حتى يدخل عليه فيخرجه، فأنزل اللّٰه: (فإن مع العسر يسرا).

وفي مرسل ضعيف عن الحسن قال: « خرج رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يوماً فرحاً مسروراً وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً » أخرجه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي، وهذا مرسل وروي نحوه مرفوعاً مرسلاً عن قتادة.

٨٢- وكذلك قوله تعالى: ﴿سيجعل اللّٰهُ بعد عسر يسرًا﴾ سورة الطلاق : ٧ .

قال صدّيق القنوجي رحمه اللّٰه في فتح البيان:

«أي بعد ضيق وشدة سعة وغنى، وهذا وعد لذي العسر باليسر، وقد صدق اللّٰه وعده فيمن كانوا موجودين عند نزول الآية، ففتح عليهم جزيرة العرب، ثم فارس والروم، حتى صاروا أغنى الناس، وصدق الآية دائم غير أنه في الصحابة أتم لأن إيمانهم أقوى من غيرهم» .[1]

٨٣- وقال ابن القيم رحمه اللّٰه :

« قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ فالعسر - وإن تكرر مرتين - فتكرر

(١) فتح البيان ١٤/١٩٢

بلفظ المعرفة ، فهو واحد ، واليسر تكرر بلفظ النكرة ، فهو يسران ، فالعسر محفوف بيسرين ، يسر قبله ، ويسر بعده ، فلن يغلب عسر يسرين» انتهى.

٨٤- قال الحافظ ابن رجب رحمه اللّٰه:

« ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر : أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه باللّٰه وحده ، وهذا هو حقيقة التوكل

(١) بدائع الفوائد « (٢/١٥٥) .

على اللّه ، وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج – فإن اللّه يكفي مَن توكل عليه ، كما قال تعالى : (ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه) » .[1]

ولأبي علي الواعظ :

هوِّنْ عليك فكلُّ الأمر يَنقطعُ	وخلِّ عنك ضَباب الهمِّ يَندفِعُ
فكلُّ همٍّ له مِن بَعده فرَجُ	وكل كربٍ إذا ما ضاق يتَّسعُ
إنَّ البلاء وإن طال الزَّمانُ به	فالموتُ يَقطعه أو سوف ينقطعُ..!

٨٥– والأليقُ بالمضطر في دعائه التخفي والتماس الخلوات، الشاردة عن الخلائق وملاحظتهم، قال العلامة ابن القيم رحمه اللّه: في إخفاء الدعاء

(١) جامع العلوم والحكم « (ص/١٩٧) .

فـوائـد عـديـدة: أحـدهـا: أنـه أعظم إيمـانـاً□ لأن صاحبه يعلم أن اللّٰه تعالى يسمعُ دعاءه الخفيَّ.

ثانيها: أنـه أعظم في الأدب والتعظيم ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تُسـأَلُ برفع الأصـوات وإنما تخفض عندهم الأصوات□ ويخفى عندهم الكلام بمقدار ما يسمعوه. ثالثها: أنه أبلغُ في التضرع والخُشوع الذي هو رُوح الدعاء ولُبُّهُ ومقصوده.

رابعها: أنه أبلغُ في الإخلاص.

خامسها: أنـه أبلغُ في جمعية القلب على اللّٰه تعالى في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه. سادسها:

وهو من النكت السرية البديعة جداً أنه دال على قرب صاحبه من اللّه...فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب لا مسألة نـداء البعيد للبعيد.
سابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يملُّ والجوارح لا تتعب ثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد من القواطع والمشوشات والمضعفات فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد...وإذا جهر به تفطنت له الأرواح الشريرة والباطولية والخبيثة من الجن والإنس فشوشت عليه ولا بد ومانعته وعارضته.

تاسعها: أعظم النعم الإقبال على اللّٰه والتعبد له والانقطاع إليه والتبتلُ إليه ولكل نعمة حاسد على قدرها دقَّت أو جلَّت ولا نعمة أعظم من هذه النعمة...وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد.

عاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه.. فهو ذكر وزيادة، وقد قال تعالى: ﴿وَاذكُر رَبَّكَ فِي نَفسِكَ تَضَرُّعًا وَخيفَةً وَدونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ﴾ (الأعراف:٢٠٥) فأمر نبيه أن يذكره في نفسه.[١]

(١) جامع العلوم والحكم» (ص/١٩٧).

٨٦- وليعتقد المضطر على الـدوام أن المؤمنَ مبتلى، وفي ذلك رفعةٌ وتمحيص وحسنُ عاقبة، لأنه لو جلس سليمًا معافى ، ربما تقاعس في الطاعة، وضعف توحيده، فاحتاج إلى موقظات تنتشله من واقع خصيب مترف، ولذلك كانت قربات الرخاء سببًا في النجاة من ظلمات الشدائد ، كما قال في الحديث الصحيح :(تعرف إلى اللّٰه في الرخاء ، يعرفك في الشدة).

وقيل ذلـك في نبي اللّٰه يونس عليه الـسـلام ، وهو أحد المضطرين ، فقد روي عَنِ الضَّحّاكِ بْنِ

قَيْسٍ رحمه اللّه قالَ: «اذْكُرُوا اللّٰه تَعالى فِي الرَّخاءِ يَذْكُرْكم فِي الشِّدَّةِ، فَإنَّ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - كانَ عَبْدًا صالِحًا ذاكِرًا لِلّٰهِ تَعالى، فَلَمّا وقَعَ فِي بَطْنِ الحُوتِ قالَ اللّٰه تَعالى: ﴿فَلَوْلا أَنَّه كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ﴾» .

٨٧- ومن لطائف الأغاريدُ هنا (أمن يجيبُ المضطر) ها هو يناديك فماذا تنتظر ، عجل إليه، فالزمانُ سريع ، والأحداثُ خطافة ...!

٨٨- ومنها : يُجيبك بفضله، ويمنحك برحمته، ويمكنك بعدله..(ويجعلكم خلفاء الأرض).

٨٩- أحيانًا تكونُ الكُروبات سببا في التوحيد والإحياء الإيماني..!

- المضطرُ إذا دعاءه دعاء مخلصًا ، متعلقًا مشفقا ، تكسرت عنه حجب الكروب..!

- كلما اكتربتَ فتذكر نعمته وفرجه، (ويكشف السوء).

- مهما عظم السوء، أو تناهى الكرب ، أو فحُشَ الظلم، فاننا مع الإله الحق ، كاشف السوء ..!

- لا تدري .. ربما كان الكرب والضيم سببا لرفعتك عند اللّٰه .

- حلّت بك ريحُ الاضطرار ، وليس لك مخرج إلا الدعاء والاستغفار ، والانطراح بخضوع وإشفاق..!

- في غيمةِ المضطر غمٌّ وهم يدفعه دعاءٌ مخبت، وتوكل عَمِيق..!

- دعاؤك الدامي إعلان لتوحيدك ، فلا تيأس من رحماتِ اللّٰه .

- في كلِّ صرخه مكروب نافذةُ فرج، وفسحةُ انشراح ..!

- في كربتكَ لن تجدَ إلا ربك معينًا ونصيراً ، ووكيلا وحافظًا(أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ).

٩٠- للآية وتجاربها وقائعُ محسوسة يتناقلها الناس ، وقد أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ناقلًا عن ابن عساكر قصة تأخذ بالألباب، وتبيّن سرعة استجابة اللّٰه للمضطر الملهوف؛ حيث يقول: «كان رجلٌ مُكارٍ، على بغل له - أي يُركب الناس على بغل له للسفر بالأجرة - يُكاري به من دمشق إلى الزبداني، فركب معه ذات يوم رجل، قال: فمررنا على بعض الطريق عن طريق غير مسلوكة.

فقال لي الرجل: خذ في هذه الطريق، فإنها

أقـرب، فقلت له: لا خبرة لـي بها، فقال: بل هـي أقـرب، فسلكناها، فانتهينا إلـى مكان وعر ووادٍ عميقٍ به قتلى كثيرون، فقال لي الرجل: أمسك رأس البغل حتى أنـزل، فنزل وشَمَّر وجمع عليه ثيابه، وسـلَّ سكينًا معه وقصدني من بين يديه فهربت، وتبعني فناشدته اللّٰه، وقلت له: خذ البغل بما عليه، فقال: هو لي، وإنما أريد قتلك، فخوفته باللّٰه تعالى والعقوبة منه، فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه، وقلت له: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين، فقال: لك ذلك وعجل، فقمت أصلي،

فـارتُجَّ عليَّ - أي ذهـب عني كل ما أحفظه من القرآن - فلم يحضرني منه حرف واحد، فبقيت واقفًا متحيرًا، وهو يقول لـي: هيًّا افـرُغ، فأجرى اللّٰه على لساني قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ وَيَكشِفُ السوءَ ﴾، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي، وبيده حربة فرمى بها الرجل، فما أخطأت فؤاده فخرَّ صريعًا، فتعلقت بالفارس، وقلت له: باللّٰه من أنت؟ فقال: أنا عبد، من يجيرُ المضطر إذا دعاه ويكشف السوء»، قال: فأخذتُ البغل والحمل ورجعت سالِمًا، فسبحان من يجير

ولا يجار عليه...».

٩١- وروي أن رجلاً من العباد كان مع أهله في الصحراء في جهة البادية، وكان عابداً قانتاً منيباً ذاكراً للّه، قال: فانقطعت المياه المجاورة لنا وذهبت ألتمس ماء لأهلي، فوجدت أن الغدير قد جفّ، فعدت إليهم ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة فلم نجد ولو قطرة وأدركنا الظمأ، واحتاج أطفالي إلى الماء، فتذكرت رب العزة سبحانه القريب المجيب، فقمت فتيممت واستقبلت القبلة وصليت ركعتين، ثم رفعت يدي وبكيت وسالت دموعي وسألت اللّه

بإلحاح وتذكرت قوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ ﴾ [النمل: ٦٢] قال: واللّٰه ما هو إلا أن قمت من مقامي وليس في السماء من سحاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسطت مكاني ومنزلي في الصحراء، واحتكمت على المكان ثم أنزلت ماءها، فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا فشربنا واغتسلنا وتوضأنا وحمدنا اللّٰه سبحانه وتعالى، ثم ارتحلت قليلاً خلف هذا المكان، وإذا الجدب والقحط، فعلمت أن اللّٰه ساقها لي بدعائي، فحمدت اللّٰه عز وجل.

٩٢- وذكر الدكتورُ الجبير حفظه اللّه: يقول اللّه تعالى :(إدعوني استجب لكم ويقول : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) إلى غير ذلك من النصوص التي تبين إجابة اللّه لدعوة الداعي إذا دعاه بصدق وإخلاص واضطرار .. ولقد رأيت هذا عياناً في أحد العمليات التي أجريتها، ففي أثناء العملية ... وبينما أنا أحاول معالجة الوضع لمريض ... وإذا بالشريان ينفجر !! وإذا بالنزيف يزداد !! ولم استطع عمل شئ للمريض ... حاولت ... وحاولت فلم استطع عمل شئ وكانت حالة المريض

خطيرة ... وكاد أن يموت ... فتوجهت للواحد الأحد الذي بيده كل شئ وأمره بين الكاف والنون (كن فيكون) فتضرعت إليه ... وسألته سؤال المضطر يا رب ... يا رحمن ... يا رحيم أسألك أن توقف هذا النزيف ... فليس لي حيلة ولا مقدرة ولا حول لي ولا قوة إلا بك وحدك لا شريك لك ... فماذا كان ؟! توقف النزيف ولله الحمد !!... وأكملنا العملية ونجحت بفضل الله تعالى ثم بالدعاء نعم إنه الدعاء ... بعد فضل الله ورحمته أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء سهام الليل لا

تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء فأين نحن من الدعاء ؟ وأين تضرعنا إلى اللّٰه ؟وهل قمنا بشروطه وآدابه ؟! .

٩٣- لا يستعصي على اللّٰه مرض ولا كرب سبحانه ، ومما نقل الأطباء أيضا :» وهذه القصة لشاب قابلته في رحلتي للمغرب جاءني و أصر أن يجلس بجانبي فبعد أن تعارفنا ذكر لي قصه غريبة عن نفسه . قال أنا كنت شاباً ضائعاً وكنت أدخن وعمري ١٣ سنة ولما كان عمري ٣٣ عاماً أصبت بجلطة بالدماغ ،جلطة قوية أصبت بعدها

بشلل نصفي ، لا أستطيع ان اتكلم أو أبلع جلطه اثرة على نصف الدماغ ، قلت بعدين ، قال : بعد أسبوعين بدأت أتكلم فسألت الدكتور فقال أن الجلطة التي أُصبتَ بها كبيره ومؤثره على جزء كبير من الدماغ ولا أعتقد انك سوف تتحسن أكثر من هذا ، فقلت لكن ليس هناك آمل ابداً ، فرد الطبيب للأسف لا، قلت له إذاً اكتب لي خروج من المستشفى قال لا يمكن أن اسمح لك بالخروج لازلت تحتاج إلى علاج طبيعي وبعض التأهيل لا يادكتور اريد أن أخرج اريد أن انطرح على من لا يخيب

عبداً إذا دعاه بقلب صادق ، فقال لكن حالتك الآن حرجه وصعب إحراج يا أخي...! أصريتُ أن أخرجَ من المستشفى على مسؤوليتي... وخرجت وبعد خروجي لازمت غرفتي اربعة اشهر اقرأ قرآن وقيام ليل ودعاء وبكاء ، بعد أربعة أشهر ذهبت إلى المستشفى أمشى ، قابلت الدكتور تعجب من شفائي وسألني ماذا عملت؟ أين عالجت؟ يا دكتور اتجهت للعزيز المنّان الكريم بالدعاء وترك المعاصي وإصلاح النية وتطهير القلب فنزع اللّه جميع ما في قلبي من مرض فعافاني. هل ممكن اعملك أشعة

مقطعيه للدماغ فكانت النتيجة مفاجأة للطبيب كما
تفاجاء بشفائي لأنه لم يبقَ للجلطةِ أثرٌ بالأشعة...!،
هذا هو الاتكال ، أنا لا أقول نترك الأسباب المادية
، لابد من فعل الأسباب المادية ولكن يا أخي وانت
في طريقك إلى المستشفى بابنك أو أبوك أو أخوك
اذكر اللّٰه عليه ، ارقه بالفاتحة، اطلب اللّٰه له
الشفاء ، اذكر أن الشافي المعافي هو اللّٰه ، ذكره
باللّٰه صبره حثه على الاحتساب إخواني انظروا
لحالنا في الوقت الحاضر تعالوا لننظر ماذا
يجري في الإسعاف أو زر الإسعاف أمور غريبة

جداً اغلبهم يناجون الأطباء يطلبون المساعدة من الأطباء والنادر منهم المسبح الحامد الذاكر للّٰه» .

دكتور / خالد الجبير.

٩٤- وفي القصة المشهورة ذات الدعاء العظيم لبعض الصحابة ، وإن كانت ضعيفة لا تصح، الا أنها ذات عبرة ودعاء مؤثر ، أخرجها ابنُ أبي الدنيا في « مجابي الدعوة » (٦٤) و» الهواتف « (٢٤) ، ومن طريقهِ أخرجه اللالكائي في « شرح أصولِ الاعتقاد « (٥ / ١٦٦) وبوّب عليه : «سياق ما روي من كراماتِ أبي معلق » .

عن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه قال : (كان رجل من أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وسلم من الأنصار يكنى (أبا معلق) ، وكان تاجراً يتجر بماله ولغيره يضرب به في الآفاق ، وكان ناسكا ورعا ، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح ، فقال له : ضع ما معك فإني قاتلك ، قال : ما تريد إلى دمي ! شأنك بالمال ، فقال : أما المال فلي ، ولست أريد إلا دمك ، قال : أمّا إذا أبيت فذرني أصلي أربع ركعات ؟ قال : صلِّ ما بدا لك ، قال : فتوضأ ثم صلّى أربع ركعات ، فكان من دعائه في آخر سجدة

أن قال : (يا ودود ! يا ذا العرش المجيد ! يا فعّال لما يريد ! أسألك بعزك الذي لا يرام ، وملكك الذي لا يضام ، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك ، أن تكفيني شرّ هذا اللص ، يا مغيث أغثني ! ثلاث مرار) قال : دعا بها ثلاث مرات ، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه ، فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله ، ثم أقبل إليه فقال : قم ، قال : من أنت بأبي أنت وأمي فقد أغاثني الله بك اليوم ؟ قال : أنا ملَكٌ من أهل السماء الرابعة ، دعوت بدعائك الأول فسمعت

لأبواب السماء قعقعة ، ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة ، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي : دعاء مكروب ، فسألت اللّٰه تعالى أن يوليني قتله .

قال أنس رضي اللّٰه عنه : فاعلم أنه من توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروباً كان أو غير مكروب) .

وقد أوردها المحقق ابن القيم رحمه اللّٰه في بعض كتبه(الجواب الكافي) ، استئناسا فيما يبدو، وإلا فإنها لا تخفى على أمثاله من الناحية الإسنادية ،

واللّٰه أعلم وأحكم.

ومن أحب أن يحفظ هذه الكلمات ويدعو بها أحيانًا دون أن ينسبها إلى الشرع ، فلا حرج عليه إن شاء اللّٰه تعالى .

٩٥- قال بعض العلماء: رأيت امرأة بالبادية، وقد جاء البَرَدُ فذهب بزرعها، فجاء الناس يعزّونها فرفعت رأسها إلى السماء، وقالت: اللهم أنت المأمول لأَحسنِ الخلف وبيدك التعويض مما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإنّ أرزاقنا عليك وآمالنا مصروفة إليك، قال: فلم أبرح حتى مرّ رجل من

الأَجِـلاء، فحدّث بما كان؛ فوهب لها خمسمائة دينار، فأجاب اللّٰه دعوتها وفرَّج في الحين كربتها.

وكم أمرٍ تساء به صباحا..	فتأتيك المسرةُ في العشيّ
إذا ضاقت بك الأحوالُ يوما	فثق بالواحد الفرد العليّ

٩٦- وفي الاضطرار حياةٌ للقلبِ، حيث الدعاء والذكر مادته وغذاؤه، ولا استغناء له عنها، يقول الإمام ابن القيم رحمه اللّٰه:

«وَالْقَلْبُ: خُلِقَ لِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالسُّرُورِ بِهِ، وَالِابْتِهَاجِ بِحُبِّهِ، وَالرِّضَى عَنْهُ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْحُبِّ فِيهِ، وَالْبُغْضِ فِيهِ، وَالْمُوَالَاةِ فِيهِ،

وَالْمُعَادَاةِ فِيهِ، وَدَوَامِ ذِكْرِهِ، وَأَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَرْجَى عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَجَلَّ فِي قَلْبِهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَلَا نَعِيمَ لَهُ وَلَا سُرُورَ وَلَا لَذَّةَ بَلْ وَلَا حَيَاةَ إِلَّا بِذَلِكَ، وَهَذَا لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْغِذَاءِ، وَالصِّحَّةِ، وَالْحَيَاةِ، فَإِذَا فَقَدَ غِذَاءَهُ، وَصِحَّتَهُ، وَحَيَاتَهُ؛ فَالْهُمُومُ وَالْغُمُومُ وَالْأَحْزَانُ مُسَارِعَةٌ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ إِلَيْهِ، وَرَهْنٌ مُقِيمٌ عَلَيْهِ».[1]

٩٧- قال أحد السلف: كنت في طريق الحجاز فعطش الناس في مفازة تبوك، فنفدَ الماء ولم يوجد إلا عند صاحب لي جمّال، فجعل يبيعه بالدنانير

(١) زاد المعاد ٤/١٨٥ .

بأرفع الأثمان فجاء رجل كان موسوماً بالصلاح عليه قطعة نطع يحمل ركوة، ومعه شيء من دقيق فتشفّع بي إلى الجمّال أن يبيعه الماء بذلك الدقيق، فكلّمته فأبى عليّ ثم عاودته فأبى. قال: فبسط الرجل النطع ونثر عليه الدقيق ثم رمق السماء بطرفه وقال: إلهي أنا عبدك وهذا دقيقك ولا أملك غيره، وقد أبى أن يقبله. ثم ضرب بيده النطع وقال: وعزّتك وجلالك لا برحت حتى أشرب! فوالله ما تفرقنا حتى نشأ السحاب وأمطر في الحين فشرب الماء ولم يبرح. فكان كما قال النبي

صلى اللّٰه عليه وسلم: رُبَّ ذي طمرين لا يُؤبَهُ له مطروح بالأبواب لو أقسم على اللّٰه لأبَّره.

٩٨- ومن القصص المنقولة : أصاب الفقرُ والحاجة شيخ القراء في زمانه عاصم بن أبي إسحاق، فذهب إلى بعض إخوانه فأخبره بأمره، فرأى في وجهه الكراهة، فضاق صدره وخرج لوحده إلى الصحراء، وصلى للّٰه ما شاء اللّٰه تعالى، ثم وضع وجهه على الأرض، وقال: يا مسبّب الأسباب! يا مفتّح الأبواب! ويا سامع الأصوات! يا مجيب الدعوات! يا قاضي الحاجات! اكفني

بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمّن سواك، يلح على اللّٰه بهذا الدعاء- حتى قال: فواللّٰه ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي، فرفعت رأسي فإذا بحدأة طرحت كيساً أحمر، فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون ديناراً وجوهراً ملفوفاً في قطنة، فبعت الجواهر بمال عظيم واشتريت منها عقاراً، وحمدت اللّٰه تعالى على ذلك.

يقول بعضهم في طيب الشعر:

يضيقُ صدري بغمّ عند حادثةٍ ... وربّما خيرٍ لي في الغمّ أحيانا

وربّ يومٍ يكون الغمّ أوّله ... وعند آخره روحاً وريحانا

ما ضقت ذرعاً بغمٍّ عند نائبةٍ ... إلاّ ولي فرجٌ قد حلّ أو حانا..!

٩٩- عن شقيق البلخي رحمه اللّٰه، قال: كنت في بيتي قاعداً فقال لي أهلي: قد ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع، ولا يحل لك أن تحمل عليهم ما لا طاقة لهم به، قال: فتوضأت وكان لي صديقٌ لا يزال يقسم علي باللّٰه إن يكن بي حاجة أعلمه بها ولا أكتمها عنه، فخطر ذكره ببالي، فلما خرجت

من المنزل مـررت بالمسجد، فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال: من عرضتْ له حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل، قال: فدخلت المسجد فصليت ركعتين، فلما كنت في التشهد، أفرغ عليَّ النوم، فرأيت في منامي أنه قيل: يا شقيق! أتدل العباد على الله ثم تتساه؟! قـال: فاستيقظت وعلمت أن ذلـك تنبيه نبهني به ربـي، فلم أخرج من المسجد حتى صليت العشاء الآخرة، ثم تركت الذهاب لصاحبي وتوكلت على الله، وانصرفت إلى المنزل فوجدت الذي أردت أن أقصد قد حركه الله

وأجرى لأهلي على يديه ما أغناهم..

١٠٠- كان رجلٌ من العباد مع أهله في الصحراء في جهة البادية، وكان عابداً قانتاً منيباً ذاكراً للّه، قال: فانقطعت المياه المجاورةُ لنا ، وذهبت ألتمس ماء لأهلي، فوجدت أن الغدير قد جفّ، فعدت إليهم ، ثم التمسنا الماء يمنة ويسرةً فلم نجد ولو قطرة وأدركَنا الظمأُ، واحتاج أطفالي إلى الماء، فتذكرتُ رب العزة سبحانه القريب المجيب، فقمتُ فتيممت واستقبلت القبلة ، وصليت ركعتين، ثم رفعت يديّ وبكيت وسالت دموعي وسألت اللّه بإلحاح وتذكرت

قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ قال: والله ما هو إلا أن قمت من مقامي وليس في السماء من سحاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسّطت مكاني ومنزلي في الصحراء، واحتكمت على المكان ثم أنزلت ماءها، فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا فشربنا واغتسلنا وتوضأنا وحمدنا الله سبحانه وتعالى، ثم ارتحلت قليلاً خلف هذا المكان، وإذا الجدب والقحط، فعلمت أن الله ساقها لي بدعائي، فحمدت الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ

رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) . سورة الشورى .

تمّ الكتابُ بحمد اللّٰه وتوفيقه ، والحمد للّٰه الذي بنعمته تتم الصالحات . وكان الفراغ منه في العشرين من شوال لعام ١٤٤٣هـ ، رزقنا اللّٰه وإياكم فقه القرآن ، وحُسن الدعاءِ والتدبر ، إنه جواد كريم.

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٠٠) كتاب منها :

- سلالمُ العلمِ ومدارجُ الفهم .
- الخطبُ الحديثية
- أربعون المعالي
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني
- نثار العلم
- من جماليات السيرة النبوية
- محائليات (شعر).
- اليَراعةُ الرمضانية

- مواقفُ علمية للأئمة الأسلاف.

- طلعةُ الشمس (سنن نورانية).

- وكلها من (دار تكوين).

- طلائعُ السلوان - دار ابن خزيمة .

- نسماتٌ من أم القرى .

- مواتُ المروءة (شعر).

- وطن ومنن (شعر).

- الطِّلاب الأعظم (شعر)

- فهزموهم بإذن اللّٰه (شعر).

- توهجات النيل(شعر).

- كورونا وليمونا (شعر).

- مدائن الألباني.(شعر).
- عاصفة الحزم (شعر).
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثية متنوعة .
- أزاهير الروضة
- شجن المنابر
- قواعد قرآنية لفهم الدعوة .
- مقدمات التغيير النبوي .
- من جماليات السيرة .
- الاحتفالُ بالسبع الطوال .
- محاسن التزيين بمعاني المئين

- حسنُ التداني من لبّ المثاني .

- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر.

- مسامرات أدبية على أنغام المتنبي.

- اغتنامُ الدرر من سورة العصر .

- النسيمُ البحري من أسرار رب اشرح لي صدري.

- متعةُ الهيمان من أسرار ثلث القرآن.

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

